وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

# ثورات الصوفية بالأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين

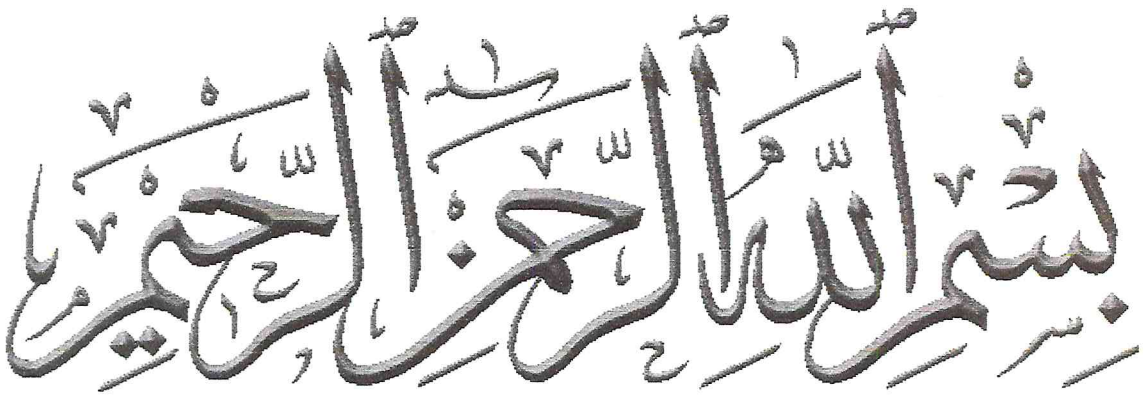
## 479-635هـ/1086-1238م

مذكرة تخرج للحصول على شهادة الماستر
في دراسات وحضارات التاريخ الوسيط

إعداد:
-عبد الرحمن غزازي.
-جمال العيدي.

إشراف:
-عبد العزيز حاج كولة.

السنة الجامعية:1437-1438هـ /2016-2017م


بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وتقدير

إنه لمن واجبنا الاعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى أولا ثم فضل الأستاذ المشرف حاج كولة عبد العزيز الذي كان عونا كبيرا لنا أثناء إنجاز مذكرتنا ، بصبره وحلمه علينا رغم تقصيرنا وتأخرنا في إتمام عملنا ، كما نخص بالذكر الاستاذ رافع رضا من جامعة البويرة الذي لم يبخل علينا بالمصادر والمراجع القيمة التي خدمت بحثنا .

فلهما منّا جزيل الشّكر والامتنان .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة جامعة المدية خاصة أساتذة قسم التاريخ وزملائنا الطلبة والأخ أسامة .

# الإهداء

إلى الوالدة الكريمة

إلى أبي حفظه الله  أطال الله عمرهما

إلى جميع إخوتي وأخواتي

إلى زوجتي وأبنائي و قرة عيني

خولة- علا – آدم

# الاهداء

إلى أمي رحمها الله

إلى أبي حفظه الله

إلى جميع إخوتي وأخواتي

إلى زوجتي رعاها الله

## قائمة المختصرات

| الرمز (الحرف) | مدلوله |
|---|---|
| تح | تحقيق |
| تر | ترجمة |
| تع | تعليق |
| نش | نشر |
| شر | شرح |
| تص | تصحيح |
| دت | دون تاريخ |
| دب ن | دون بلد نشر |
| دط | دون طبعة |
| ط | طبعة |
| ع | عدد |
| ج | جزء |
| تق | تقديم |
| در | دراسة |
| خر | خرجه |
| ص | صفحة |
| هـ | هجري |
| م | ميلادي |
| إش | إشراف |
| ق | قسم |
| س | سفر |

# مقدمة

**مقدمة:**

عرفت بلاد الأندلس مُنذ الفتح الإسلامي توافداًكبيراً من العلماء والفقهاء والزّهاد فأصبحت من كُبريات الحواضر الإسلامية مقصداً،فكانت مجالاً خصبًا لتلاقح الأفكار من جميع المجالات العلمية العقلية والنقلية .

وفي هذا الحقل المتنوع بالأفكار ظهر الفكر الصّوفي ،الذّي كانت بدايته بسيطة ممثّلة في حياة الزّهد التي كان يحياها النُّساك والُمتعبدون في القرنين الأول والثّاني .والتّي سُرعان ما تطوّرت وانتشرت في أوساط الأندلس عن طريق الطّبقة المثقّفة، التّي لعبت دوراً كبيراً في زرع تعاليمه في أوساط العامّة ،بداية من القرن الرّابع الهجري على يد محمد بن مسّرة وتلامذته ،ليصبح قوة اجتماعية وسياسية استطاعت أن تفرض وجودها ويكون لها تأثير على مجرى الأمور بداية من القرن السادس الهجري ،والذي عرف تغلغل التّصوف بتيّاريه السّني والفلسفي ورجاله في النّسيج الاجتماعي وانتشاره في جميع المناطق الأندلسية ،نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية ممّا أعطاهم ثقلاً سياسياً واجتماعياً، رغم المعارضة القويّة التي أبدتها السّلطة السيّاسية والفقهاء المالكية في العهد المرابطي، وذلك لتوجّسها وتخوّفها من الآراء والأفكار الصّوفية التي لا توافق المذهب المالكي ، وكذلك الالتفاف الاجتماعي الكبير حول فئة المتصوفة.

من هنا ظهرت ثورات الصوفية خلال هذه الفترة ،مستغلة فرصة تأزّم الأوضاع السّياسية والاقتصادية والاجتماعية ،وكذا التفاف شريحة كبيرة من المريدين حولها ليعتبر هذا الحدث هاما لدى فئة المتّصوفة. وحول هذه الأحداث التي عرفتها الأندلس في عهد المرابطين والموحدّين ، والتطّور الذّي عرفه الفكر الصوفي الذّي تحوّل إلى تيّار سياسي يدعو إلى تغيير النّظام عن طريق القوّة والقيام بالثّورة المسلّحة ضدّ السّلطة الحاكمة ، جاءت هذه الدراسة بعنوان:"**الثّورات الصّوفية في الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدّين(479هـ،635هـ/1086م،1238م)**

**دواعي اختيار الموضوع:**

برزت فكرة معالجة الموضوع لاحتوائه على فئة ظهرت في المجتمع الإسلامي وكان لها تأثيرا كبيرا في الحياة الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية،وبقيت أفكارها محلّ جدل لدى العلماء والفقهاء والمؤرّخين، خاصة بعد الانتشار الكبير الذّي عرفه في العالم الإسلامي مشرقًا ومغرباً، ودراسته تحديداً في الأندلس خلال العهد المرابطيوالموحدي الذي عرف قيام أكبر دولتين في الغرب الإسلامي حملت لواء الجهاد ضدّ النّصارى وأطالت عمر التواجد الإسلامي في المنطقة لأكثر من قرنين من الزّمن، وكذلك الوقوف على تطور الفكر الصّوفي الذّي وصل إلى حدّ القيام بالثّورة.

**الدّراسات السابقة:**

من الدّراسات السّابقة التّي تطرقت للموضوع أو جانب منه، ، شهادة الماجيستر من إعداد الطّالبة، فاطمة الزهرة جدّو تحت عنوان: "السّلطة والمتصوّفة في الأندلس عصر المرابطين والموّحدين" والتّي قامت فيها بدراسة متميزة من حيث المعلومات والتنظيم والتسلسل التاريخي معتمدة على أمهات المصادر خاصّة كتب التّراجم والتّي أفادتنا في وضع تصوّر لبحثنا والرّجوع إلى المصادر والمراجع التّي تخدم الموضوع.

ذلك بتطرّقها إلى عوامل انتشار التصوّف في المغرب والأندلس إلى جانب أهم الاتّجاهات الصّوفية التّي ظهرت في المنطقة .كذلك الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش من جامعة الرباط بالمغرب الأقصى والذّي قام بعدة دراسات حول التصوف بالمغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين في كتابه( المغرب والأندلس في عصر المرابطين: المجتمع- الذّهنيات- الأولياء، وكتابه الثّاني المعنون ب: مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدّين)، والذّي تطرّق من خلالهما إلى العلاقة بين السّلطة والفقهاء والمتصوّفة. وكتاب السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف لمصطفى بنسباع الذي تطرق فيه بإسهاب لثورة المريدين وأحداثها .

**الهدف من الدّراسة:**

كان الهدف من دراسة الموضوع تحقيق ما يلي:

- التعرّف على التصوف، نشأته وتطوّره، والوقوف على أهم التيّارات الصّوفية ومعرفة مبادئها أسسها وأفكارها.

- محاولة الوصول إلى أسباب قيام المتصوفة بالثّورة ضدّالمرابطين .

-المساهمة بالبحث في الموضوع من أجل إثراء المكتبة الجامعية بهذا النّوع من البحوث في تاريخ العصر الوسيط.

أما بخصوص تحديد الإطار الزّماني بعهد المرابطين والموحدين باعتبارها العصر الذهبي للتّصوف بالأندلس وبروز أهم أقطاب التّصوف الأندلسي الذّين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي وانتشرت أفكارهم في الأندلس وخارجه مثل ابن العريف وابن عربي، وكذلك محاولة تقديم صورة حقيقيّة حول العلاقة التّي ربطت المتصوفة بالسّلطة المرابطيةوالموحدية، وإبراز مكانة المتصوّفة في المجتمع الأندلسي ودورها في الحياة السّياسية والاجتماعية.

**إشكالية البحث:**

محاولة الإجابة على المفارقة التّي جاءت في موضوع البحث بين التّصوف الذّي يعني الزّهد عن الطيّبات وملذّات الدّنيا والانقطاع للعبادة ومجاهدة النّفس وبين الثّورة المسلّحة التّي قام بها المتصوّفة ضدّ السّلطة المرابطيةوالموحدية والمنافية لمبدأ وسلوك التصوّف.ويندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- ما هي أهم العوامل التّي أدّت إلى انتقال التصوف وانتشاره في بلاد الأندلس؟

- ما هي أهم التيّارات الصّوفية التّي ظهرت في عصر المرابطين والموحدين ؟ ومنهم أهم أقطابها؟

- كيف تميّزت العلاقة بين المتصوفة والسلطة؟. هل هي علاقة صراع أم علاقة وُدّواتّصال؟.

- ما هي أهم العوامل التّي أدت إلى قيام الثّورات الصّوفية في هذه الفترة تحديداً؟- هل استطاع الثّوار الصّوفيون الوصول إلى أهدافهم أم أنّهم فشلوا في تحقيقها؟

- ما هي ردود الأفعال ضدّ هذه الثوّرات من طرف السّلطة والفقهاء والمجتمع؟.

**خطة البحث:**

للإجابة على إشكالية الموضوع تم تقسيم البحث إلى: مقدمة تناولنا فيها عناصر الموضوع الأساسية.

المبحث الأول وهو عبارة عن مدخل تمهيدي جاء بعنوان: التصوّف الإسلامي بدايته وتطوّره في العالم الإسلامي والأندلسي إلى غاية نهاية القرن 5هـ والذّي يتضمّن التصوّف الإسلامي حقيقته وتطوّره، وتطرّقنا خلاله إلى تعريف الزّهد ثمّ الانتقال من الزّهد إلى التصوّف ثم تعريف التصوّف لغة واصطلاحا ومراحل تطوّره.

ثم التصوّف الأندلسي بدايته وتطوّره إلى غاية القرن الخامس الهجري وتطرّقنا خلاله إلى بداية التصوّف الأندلسي خلال القرنين الأول والثّاني والذّي كان عبارة عن زهد ثمّ إلى زهّاد القرن الثّالث الهجري وبعدها ظهور التصوّف الأندلسي خلال القرن الرابع الهجري على يد ابن مسّرة وتطوّره إلى نهاية القرن الخامس الهجري .

أمّا المبحث الثّاني فكان بعنوان: التّيارات الصّوفية وأقطابها عهد المرابطين والموحّدين والّذي تعرضّنا فيه إلى التيّار الصّوفي السُّني وأقطابه، وتناولنا خلاله التيّار الصّوفي السُّني المعتدل وأهمّ أقطابه وذلك بذكر أهمّ فئاته مع ترجمة بسيطة لبعض أعلامه.

كما تعرفنا على التيّار الصّوفي الفلسفي وأقطابه والذّي ينقسم إلى اتجّاهين:الأوّل: تيّار فلسفي معتدل والثّاني تيّار فلسفي باطني متشدّد والذّي يتزّعمه ابن قسّي الذّي قاد ثورة المريدين ضدّ السّلطة المرابطية .

المبحث الثّالث بعنوان: علاقة السّلطتين المرابطية والموحدية بالمتّصوفة وتناولنا خلاله علاقة السّلطة المرابطية بالمتّصوفة وأسلوب التعّامل معهم والتي تميزت في أولها باللين والموادعة

وسرعان ما تحولت إلى ملاحقة وإبعاد ونفي وتغريب ،أما عن علاقة السّلطة الموحدّية بالمتصّوفة فشهدت انفراجا وتعايشا في أغلب مراحلها .

والمبحث الرّابع بعنوان ثورات متصوفة الأندلس ، فتناولنا فيهثورة المريدين زمن المرابطين بقيادة ابن قسي والتي كانت من الأسباب التي عجلت بسقوط دولة المرابطين ، ثم ثورة المتصوفة زمن الموحدين التي اندلعت بالمغرب ووصل مداها إلى الأندلس ، وهدّدت كيان الدولة الموحدية الناشئة .

وفي الأخير خاتمة البحث وهي خلاصة نهاية بحثنا والتّي ضمّناها بمجموعة من النتّائج التّي توصّلنا إليها.

**المنهج المتّبع**:طبيعة دراستنا للموضوع تطلّبت منّا اتّباع المنهج السّردي الوصفي كون الدراسة التاريخية لا تخلو من سرد الوقائع والأحداث مع وصف ما يجب وصفه من أماكن وشخصيات .كما اعتمدنا المنهج التاريخي التّحليلي والذّي حاولنا من خلاله تتبّع تسلسل الأحداث وتحليل المعلومات لإزالة اللُّبس والغموض ومقارنتها بمحاولة الوصول إلى الحقيقة التّاريخية.

**الصّعوبات والعراقيل:**

من أبرز الصّعوبات التّي واجهتنا تداخل المصطلحات مع وجود اختلافات وآراء كثيرة حول موضوع التصوف.

- سعة الموضوع وتشعبّه ما تطلّب منّا جُهدا إضافيا في اختيار المعلومات المناسبة للموضوع فقط، ومحاولة الاختصار قدر الإمكان .
- غموض المصطلحات الصّوفية وصعوبة فهمها.
- وجود مراجع مهمّة في موضوع التصوّف والثّورات ، إلّا أنّها باللّغة الإسبانية ، ما حرمنا من معلومات أقلّ ما يُقال عنها أنّها مهمّة في موضوع بحثنا هذا .

- كـذلك ضـيق الوقـت الـذّي جعلنـا لا نُلـمُّ بجميـع التّفاصـيل ومجُريـات الأحـداث ونقتصر على الاختصار فقط .

**عرض المصادر والمراجع:**

**أ- المصادر:**

*** الكتب الصوفية:**

من أهمّ الكتب الصّوفية التّي اعتمدنا عليها (الرّسالة القشيرية) للقشيري، والتي فصل فيها ماهية الصوفي وكل ما يلزم لسالك هذا الطريق، وكذلك الكلباذي في كتابه" التعرف لمذهب أهل التصوف"، هذا فيما يتعلق بمتصوفة المشرق، بينما في المغرب اعتمدنا على شفاء السائل لابن خلدون ورغم عدم ثبوت تصوفه إلا أنه برع من حيث التطرق إلى كل الجوانب المتعلقة بالصوفي،كذلك كتاب" التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات الذي تكلم فيه عن حقيقة التصوف وأورد فيه تراجم لأهم المتصوفة.

***كتب التّاريخ السّياسي:**

اعتمـدنا علـى ابـن عـذاري المراكشـي في كتابـه " البيـان المغـرب في أخبـار الأنـدلس والمغـرب" في الجـزء الرّابـع الـذّي تنـاول الدّولـة المرابطيـة.مـن حيـث نشـأتها وكيـف عـبرت إلى الأنـدلس ، وكتـاب عبـد الواحـد المرّاكشـي المعنـون ب " المعجـب في ذكـر إفريقيـة والمغـرب" في جزئـه المتعلـق بالدّولـة الموحدّيـة، وفيمـا يخـصّ الكتـاب الـذي اسـتفدنا منـه في صـلب الموضـوع هـو كتـاب لسـان الـدّين بـن الخطيـب الـذي تعـرض لثـورة ابـن قسّـي وأسـهب في ذكـر تفاصـيلها في كتـاب " إعمـال الإعـلام في مـن بويـع قبـل الاحـتلام مـن ملـوك الإسـلام" .واعتمـدنا علـى كتـاب "نفـح الطّيـب في غصـن الأنـدلس الرّطيـب" للمقّـري الـذّي أرّخ لـبلاد الأنـدلس في النّاحية الاقتصادية والسّياسية والاجتماعية.

*** كتب التّراجم والطّبقات:**

والـتّي أفادتنـا بإعطائنـا مـادّة خبريـة عـن العلمـاء وحيـاتهم والـتّي عُرفـت بوفرتهـا عنـد الأندلسـيين ومـن الكتـب الـتّي اعتمـدنا عليهـا كتـاب ابـن الفرضـي بعنـوان " تـاريخ علمـاء الأنـدلس" و ابـن الزّيـات في كتابـه " التشّـوف في معرفـة رجـال التصـوّف" والـذي تـرجم لمـائتين وتسـع وسـبعين صـوفياً، والحميـدي في كتابـه الموسـوم " جـذوة المقتـبس" والـذي يعتـبر تكملـة لمـا جاء به ابن الفرضي في ذكر زهّاد وعبّاد الأندلس الأوائل.

***كتب الجغرافيا:**

مـن بـين الكتـب المهمـة الـتي احتـوت علـى معلومـات قيّمـة عـن مختلـف الجوانـب بالأنـدلس كتـاب "الـرّوض المعطـار" للحمـيري الـذي أتـى علـى ذكـر المواقـع والمـدن باعتبـاره مـن أهل الأندلس.

**ب – المراجع:**

مـن أهّـم المراجـع الـتي اعتمـدنا عليهـا خاصّـة في المبحـث الأول لمعرفـة أهـم الزّهـاد والمتصـوفة في الأنـدلس، مرجـع "الزّهـاد والمتصـوفة في المغـرب والأنـدلس إلى غايـة نهايـة القـرن الخـامس الهجـري" لمؤلفـه محمـد بركـات البيلـي، وكـذلك كتـاب "الحضـور الصّـوفي في المغـرب والأنـدلس إلى حـدود القـرن السّـابع الهجـري" لمؤلفـه جمـال عـلال البخـتي، والـذّي تنـاول تطـوّر التصـوّف في الأنـدلس خاصّـة ابـن مسّـرة ومدرسـته، والـدكتور إبـراهيم القـادري بوتشـيش وكتاباتـه القيمـة في المجـال الاجتمـاعي في الأنـدلس خـلال فـترة المـرابطين والموحـدين ، وكتابـه الآخـر مقـالات في تـاريخ الغـرب الإسـلامي خـلال عصـري المـرابطين والموحـدين .كـذلك الـدّكتورة عصـمت عبـد اللّطيـف دنـدش والـتّي تناولـت مدرسـة المريـة وثـورة المريـدين في الفـترة الانتقاليـة بـين دولـة المـرابطين والموحـدّين بالإضـافة إلى كتـاب مصـطفى بنسـباع " السّـلطة بـين التسّـنن والتشّـيع والتصّـوف خـلال عصـري المـرابطين والموحـدين " والـذّي تطـرق فيـه بنـوع مـن التفصـيل والإسـهاب حـول ثـورة المريـدين في الأنـدلس وثـورة ابـن هـود الماسـي في المغـرب وتأثيرها على الأندلس. والذّي استفدنا منه أيّما استفادة .

# مبحث تمهيدي:

# التصوف حقيقته وتطوره في العالم الإسلامي والأندلسي إلى غاية نهاية القرن 5 هـ

- **المطلب الأول**: التصوف الإسلامي حقيقته وتطوره .
- **المطلب الثاني**: بداية التصوف الأندلسي وتطوره حتى نهاية القرن 5 هـ.

# المطلب الأول:

# التصوف الإسلامي حقيقته وتطوره

- تعريف الزّهد.
- من الزّهد إلى التصوف.
- مفهوم التصّوف.
- مراحل تطور التصّوف.

**التصّوف حقيقته وتطوّره:**

لقد اختلف الباحثون والدّارسون لظاهرة التصوّف الإسلامي في تحديد نسبته ونشأته في الإسلام، وتباينت آراؤهم حول المعنى الحقيقي لهذه التّسمية وبداية ظهوره فمنهم من يعتبره أصيلاً في الدّين ومنهم من يرى أنّه مُستحدث وهو نتاج أفكار دخيلة على الإسلام وهناك من يعتبره مرحلة من مراحل تطور الزهد في الإسلام.

وللوقوف على معرفة مفهوم التصوّف وبداياته صادفنا مصطلح الزّهد الذّي ارتبط بالمتصّوفة في تراجمهم او باعتباره مرحلة سابقة لظهور التصوّف الإسلامي، لهذا حاولنا أن نقدّم تعريفا للزّهد وتطوّره وُصولاً إلى مرحلة انتظامه ليصبح تصوفًا.

**– تعريف الزّهد:**

**لغة:** الزّهد في اللّغة بمعناه العام خلاف الرّغبة، يُقال زهُد في الشيء، وزهُد عن الشيء والتزهيد في الشيء خلاف التّرغيب فيه[1].

أمّا الزّهد في معناه اللّغوي الخّاص فله مدلول ديني بمعنى عدم الرّغبة في الدّنيا وعدم الحرص عليها وهو بذلك سلوك تعبدي، اذ يقال فلان يتزهد بمعنى يتعبد .[2]

**قال تعالى: [وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ][3].**

**اصطلاحا:** الزّهد مفهوم معقّد فهو ليس بالمعنى البسيط الذّي تشير إليه المعاجم ، والتي تمكن الباحثين في قول الفصل في مسّماه ومعناه ، وفي نشأته وتطوّره وماهيته وأبعاده ومن أبرز ما قيل في معناه وماهيته . أقوال ينُسب بعضها إلى الزّهاد والمتصوّفة ويُنسب بعضها

---

[1] أحمد بن تيمية، **الزهد والورع والعبادة**، تح، حماد سلامة، شركة الشهاب، الجزائر، ص،26

[2] ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر ،د.ت،ج3، ص: 1876.

[3] سورة يوسف، الآية 20.

لآخرين لم يكن الزّهد عُنوانا لهم، إذا ينسب قول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في الزهد بقوله " الزّهد هو أن لا تبالي بمن أكل من الدّنيا مؤمن أو كافر "[1].

وقال سُفيان الثوري:" الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة" . وقال الإمام أحمد بن حنبل أيضا " الزّهد عدم الفرح بإقبال الدنيا ولا الحزن على إدبارها".ويقول الإمام أحمد بن تيمية:" الزّهد ترك ما لا ينفع في الآخرة ".[2]

أمّا الزّهاد والمتصّوفة فنذكر أقوال بعض منهم في الزّهد، يقول الفضيل بن عياض " أصل الزهد الرضا عن الله".وقول الجنيد:" الزهد هو خلو القلب مما خلت منه اليد".وقول الشلبي:" لا زهد في الحقيقة إلا ظلف النفس وأعراضها[3].

ومن هنا يتبين لنا أن هناك تقاربا كبيراً لدى المتصوفة في معنى الزهد وبهذا حاول القشيري تبرير هذا التفاوت بقوله: إنّ كُلاً منهم نطق عن وقته وأشار إلى حدّه [4] .

وهذه إشارة إلى تطوّر مدلول الزّهد عبر المراحل التي مرّ بها من التاريخ الإسلامي.

**أصل الزهد ونشأته:**

اختلف الدّارسون والباحثون القدامى والمحدثون حول أصل الزّهد ونشأته في الإسلام فمن القدامى من يرى أنه أصيل في جوهر الإسلام غير محدث كالسّراج الطّوسي[5].

---

[1] ابو بكر محمد الكلاباذي، **التعرف لمذهب أهل التصوف**،تع، عبد الحكيم محمود و طه عبد الباقي سرور، القاهرة،دار الكتب العربية،،1960، ص93.

[2] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**،تح، ناصر بن سليمان السعوي وآخرين، ط2،دار الأصمعي للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية،1432هـ/2011م، ص10-12.

[3] محمد بركات البيلي، **الزهاد والمتصوفة في المغرب والأندلس حتى القرن 5 هـ**، دار النهضة العربية، القاهرة:1993، ص18.

[4]عبد الكريم بن هوزان القشيري، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تقديم احمد بن عبد الرحمن المشلي، ط1،دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998، ص623.

[5] عبد الله بن علي السراج الطوسي، **اللّمع في التصوف**،تح، رينولد نيكلسون ، ليدن، 1914، ص26

ومنهم من يرى أنّه مُستحدث في الإسلام غير أصيل في جوهره مثل القشيري الذّي يرى أن الصّدر الأول في الإسلام لم يعرف إلا مسمّيات الصّحابة ثمّ التّابعين ثمّ تابعي التّابعين .[1]

ويرى ابن الجوزي أنه كان في زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ينسب إلى الإيمان والإسلام فيُقال مُسلم ومُؤمن ثمّ حدث اسم زاهد وعابد.[2]

والزّهد في رأي البعض درجات وطبقات يعلو بعضها بعضاً ليس على وتيرة واحدة وإنّ الزّهاد يتفاوتون في المكانة والتقدير [3].

ومن الواضح لدى الدّارسين أنّ اسم الزّهد لم يُعرف في صدر الإسلام الأول فكانت النّسبة إلى الإيمان والإسلام فكانت المرحلة الأولى قبل ظهور اسم الزّهد والتّي كان الزّهد فيها سلوكًا لا اسماً، والمرحلة الثّانية منه بعد ظهور اسم الزّهد أصبح منظّما معقدا ظهرت بوادره في البصرة والكوفة[4]، ثم امتد إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي.

**من الزّهد إلى التصّوف:**

يرى نيكلسون أنّ الحركة الزّهدية سارت وفقاً لقواعد الدّين أوّل الأمر غير أنّه لم يكن هناك مفّر من المبالغة في التزام بعض الأمور الواردة في تعاليم النبّي صلّى الله عليه وسلم وفي سيرته استتبعت من الناحية الأخرى إهمالا لبعض المسائل الدّينية لا تقل أهمية في قيمتها عن غيرها من المسائل الدّينية وسُرعان ما تحول الزّهد إلى تصوّف.[5]

---

[1] القشيري، **المصدر السابق**، ص61.

[2] ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **تلبيس ابليس**، تح، محمد بن الحسن بن اسماعيل وسعد عبد الحميد السعدي، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،1998، ص161.

[3] التعرف على درجات المتصوفة، انظر ،محمد بركات البيلي، **المرجع السابق**، ص 8.

[4] كامل مصطفى الشيبي، **الصلة بين التصوف والتشيع**،ط2، دار المعارف، مصر(د ت)، ص 239.

[5] البيلي، **المرجع السابق**، ص9.

وبهذا يصعب تحديد بداية قاطعة للتصوف وقد اختلف في بدايته لدى القُدامى والمحدثين فيقول القشيري :إنّ اسم التصوّف اشتهر قبل المائتين للهجرة .[1]

ويرى ابن الجوزي أنّ اسم التصوّف ظهر دون اشتهار في نحو ذلك الوقت.[2]

أمّا الدّارسون المحدثون فيرون أن كلمة التصوف لم تكن معروفة في اللّغة إلى نهاية القرن الأوّل ومطلع القرن الثاني، وهناك من يرى أن كلمة الصّوفي اشتقت من كلمة الصّوف العربية وظهرت أوّل مرّة حينما أطلق على أبي هاشم الكوفي المتوفي حوالي 160 هـ ثمّ أصبح هذا الاسم معتاداً منذ أواسط القرن الثالث الهجري، وبهذا من المحتمل أنّ استعمال لباس الصّوف الذي كان يلبسه الزّهاد وضعت حدّاً فاصلا بين الزّهاد ورجال التّصوف وبين غيرهم ممّن ساروا على سيرة السّلف .[3]

وهذا ما ذهب إليه عبد الرّحمن بدوي، أمّا عن موضع حدوث التحول من الزهد إلى التصوف فقد كان هو نفسه موضع ظهور الزّهد المنظّم في (البصرة والكوفة، فقد كان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف من الآخرة ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمر، وكان أوّل من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب الحسن البصري[4].

غير أن أوّل ذكر جماعة صوفية في التّاريخ الإسلامي كان عن جماعة من أهل الإسكندرية، ذكر المؤرّخ (الكندي المصري أنهم عرفوا بالصّوفية وإنّهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكان لهم دور في الأحداث التي عرفت بثورة الجروي والسّري بن الحكم واستّمرت من 199هـ إلى غاية 211هـ استطاع زعيم هذه الطائفة الصّوفية والذّي كان يسمّى أبو عبد الرحمان الصوفي من بسط ولايته على الإسكندرية سنة 210 هـ بمساعدة

---

[1] القشيري، **المصدر السابق**، ج1، ص61.

[2] ابن الجوزي، **المصدر السابق**، ص162.

[3] عبد الرحمان بدوي،**تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن الثاني الهجري**، ط3، دار الشعاع للنشروالتوزيع، 2008، ص39 .

[4] أحمد بن تيمية، **مجموع الفتاوي**، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد الحنبلي،ط1، مطابع الرياض ،1381هـ،ج11، ص6.

طائفة من الأندلسيين وفدوا على الإسكندرية لكن سرعان ما عزلوا أبا عبد الرحمن الصوفي، وولّوا أحدهم مكانه على الإسكندرية. [1]

ومن الباحثين من يرجع ظهور التصوف إلى عامل سياسي اقتصادي يتمثل في الفقر الذي حل بالكوفة نتيجة لمعارضة أهلها لبني أمية وتضييق الأمويين عليهم بسبب موقفهم المعارض لهم ممّا جعل من الكوفة مركزاً لاتخاذ الصّوف لباساً لضيق ذات اليد من جهة ولمعارضة سياسة بني أمية من جهة أخرى.

يقول الدكتور محمد بركات البيلي: ففي اعتقادنا أنّ التصوف ظهر كنتيجة طبيعية لتصاعد الزّهد في المجتمع الإسلامي.

ويرى الدكتور عمر فروخ أنّ الصوفية حركة بدأت زُهداً وورعًا ثم تطّورت فأصبحت نظامًا شديداً في العبادة، ثم استقّرت اتجّاهاً نفسيًا وعقلياً بعيداً عن مجراها الأول وعن الإسلام في كثير من أوجُهها المتطّرفة. [2]

وممّا ورد حول التحوّل في الزّهد إلى التصّوف وفي أسبابه ودوافعه في أقوال القدامى والمستحدثين فإنّه يصعب تحديد البداية الفعلية لظهور التصوف بدقة.

**التصوّف:**

قيل في التصّوف أقوال كثيرة لدى المتصوفة وغير المتصوفة ولا يزال الاختلاف حاصلاً إلى غاية عصرنا هذا، لهذا سنحاول أن نقدم أبرز ما قيل حول دلالة ونسبة كلمة التصّوف لدى المتقدمين والمتأخرين ممّن حاولوا إعطاء تعريف لها .

**لغة:** من تصّوف تصوفًا صار من الصوفية أو شُبّه بالمتصوفين. لبس الصّوف والتصوف مصدر تصوف [3].

---

[1] محمد بركات البيلي، **المرجع السابق**، ص22.

[2] عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**،دار العلم للملايين، بيروت،1972، ص470.

[3] محمد الباشا، **الكافي معجم عربي حديث**، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، 1992، ص 265.

يقول القُشيري أنه اسم على غير اشتقاق ولا قياس في اللغة العربية ، إلّا أنّه في معاجم اللغة العربية توجد مادة صوف والتي لها اشتقاق ذا معنى مادة صوف، وهو صاف، يصوف، صوفاً بمعنى عدل أو حاد عن جادّة الطريق.[1]

**نسبه:**

هناك من ينسبون التصوف إلى صوفة بن أُدّ بن طابخة تفرّغوا للعبادة في جوار مكّة وانقطعوا في الجاهلية لخدمة بيت الله وحجيجه وأعقبه أولاده من بعده حتى أخذته منهم عُدوان ومن بعدهم قُريش[2].ويرى كامل الشّيبي إنّ هذا الوجه الصحيح لتفسير كلمة التصّوف وهذا الرأي يميل إليه ابن الجوزي.

هذه المحاولة اعتبرها العديد من العلماء تقليلا من شأن التصوف الإسلامي وكذلك نفى شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك للأسباب التالية:

إذا كان موافقا للنّسب من حيث اللّفظ، فإنه ضعيف لأن هؤلاء غير مشهورين عند عامة النّاس، ولأنه لو نسب إلى هؤلاء الناس لكان هذا النسب في عهد الصحابة والتابعين الأولين، إضافة إلى أن من استعملوا اسم الصوفي لا يعرفون هذه القبيلة، ولا يرضون الانتساب إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام.[3]

نسبة إلى الصّفة: يرون أنّ الصوفية مستوحاة من سلوك أهل الصفة وهم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مثل: أبي هريرة الدوسي وأبي ذرّ الغفاري وبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي و ...الخ[4].

---

[1] القشيري، **المصدر السابق**، ص6.

[2] ابن الجوزي، **المصدر السابق**، ص 161.

[3] احمد بن تيمية، **مجموع الفتاوي**، ج10، ص341.

[4] **أهل الصفة**: فقراء المهاجرين الذي سكنوا صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر، عبد الرحمن ابن خلدون، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تح،الدكتور محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996، ص52

غير أنّ هذا الاشتقاق اللغوي ينفي ذلك، لأن النسبة إلى الصفة هي صفي، وليس صوفي وهو ما فنّده ابن تيمية وابن خلدون.

فالأول اعتمد في النفي على عدم تطابق النسبة بين صفة وصوفي فيقول أنه نسبة إلى أصل الصفة وهو خاطئ لأنه لو كان كذلك لقيل صفي، في حين يبرز ابن خلدون نفيه بقوله: وعالم أن أهل الصفة لم يكونوا مختصين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة في العبادة.[1]

وقيل إنّ التصوف من الصفاء، وهذا التفسير يروق للكلاباذي على غيره من التفاسير ويعتد في هذا الصدد بقول بشر الحافي:" الصوفي من صفا قلبه لله".[2]

أمّا السّراج الطّوسي فيذكر قول أبي الحسن القناد: الصوفي مأخوذ من الصفاء، وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء... [3].

وقيل أيضا إنّ التصوف من الصف لأن الصوفية في الصف الأول بين يدي الله عز وجل [4].

لكنّ ابن تيمية يؤكد على أن هذا القول غلط لأنه لو كان كذلك لقيل (صفي) بفتح الصاد.

**الصوفية نسبة إلى الصوف:** وهو القول الذي يُعتد به مقارنة بالأقوال الأخرى، وممن أخذ بهذا الرأي ابن تيمية وبشيء من التحفظ ابن خلدون فذكر هؤلاء إنّ سبب التسمية بهذا الاسم ليس الصوف لكونه أرفق، ولكونه أيضا لباس الأنبياء عليهم السلام .[5]

---

[1] **نفس المصدر**، ص52

[2] الكلاباذي، **المصدر السابق**، ص31

[3] السراج الطوسي، **المصدر السابق**، ص26.

[4] الكلاباذي، **المصدر السابق**، ص22

[5] ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**، المصدر السابق، ج10، ص342.

فبينما يقول ابن تيمية : وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم "صوفي" وليس طريقهم مقيد بلباس الصّوف ولا هم أوجدوا ذلك ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال.

في حين إن ابن خلدون قلّل من الرأي الذي ربط التسمية بلباس الصوف واعتبره مجرد افتراض وتخمين، وحجته في ذلك أن الصوفية لم يختصوا بلباس دون لباس، ليخلص في الأخير إن التصوف هو لقب وضع لهذه الطائفة علما أنهم يتميزون به، ثم تصرف في ذلك اللقب بالاشتقاق منه، فقيل متصوف وصوفي، والطريقة تصوف، والجماعة متصوفون وصوفيون .[1]

ومن هنا نلاحظ أنّ ابن خلدون عندما ذهب إليه القشيري في قوله: إنه من الصوف، ولهذا يقال تصوف، إذا لبس الصوف، وتقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف لينتهي في الأخير إلى أن هذا الاسم لم يشهد له من حيث اللغة العربية قياس ولا اشتقاق والأرجح أنه كاللقب، أطلق على هذه الطائفة لتميزها عن غيرها، فلا نسأل عن معناه أو اشتقاقه[2].

بالإضافة إلى أن الصوفية أنفسهم كانوا ينسبون بتسميتهم إلى الصوف حيث يروى أن أحمد بن أخ معروف الكرخي والذي يعتبر من كبار الصوفية ويلقب بالزاهد دخل على أبي الحسن بن بشار عليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهى.

وتستعمل الفارسية مقابل هذه الكلمة اصطلاحا والتي تعني ( لابس الصوف) وهو " باشمينابوش).[3]

---

[1] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص53.

[2] القشيري، **المصدر السابق**، ص55.

[3] نسيم حسبلاوي، **الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية (138هـ- 422 هـ)**، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، ص150.

يذكر الغزالي أنّه لتعذر تسييدهم بحال تقييدهم لتنوع وجدانهم نسبوا الظّاهرة للبسة وكان في الإشارة إليهم وادّعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصّوف كان غالباً على المتقدمين منهم .[1]

**التعريف الاصطلاحي:**

من أبرز التعاريف التي وردت في تعريف التصوف قول ابن خلدون الذّي عرّفه على أنّه : عزوف النّفس عن الدّنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عند زخرف الحياة الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الناس من حال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة.[2].ويرجع ابن خلدون صعوبة وضع تعريف شامل للتصّوف إلى عاملين:

العامل الأول: يتمثل في أن هذا التعريف لم يقصد به الصوفية تعريف التصوف تعريف علميا شاملا، بل قصدوا بها التعبير عن أحوالهم ومقاماتهم التي يندرجون فيها.

العامل الثاني: يتمثل في كلمة تصوف في حد ذاتها ، والتي اكتسبت مع مرور الوقت معاني جديدة تبعدها شيئا فشيئا عن مدلولها الذي عرفت به أول الأمر...

ويعرفه معروف الكرخي وهو من الصوفية المتقدمين (ت 200هـ/815م) التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق.[3]

ويعرفه متصوف آخر وهو سهل بن عبد الله التستري ( ت283هـ، 296هـ):والصوفي من صفى من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر[4].

وعرفه الجنيد أستاذ الطائفة الصوفية في عصره بقوله: "تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية والتعلق بالعلوم الحقيقية"[1].

---

[1] البيلي، **المرجع السابق**، ص18

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، تح، محمد الشامي، دار الكتاب الحديث الجزائر،2016، ص232

[3] القشيري، **المصدر السابق**، ص127.

[4]السهروردي، **عوارف المعارف**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403 هـ، 1983م، ص123.

ومن المتأخرين نجد الجرجاني (ت 816هـ) الذي عرفه بقوله: التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها في الباطن، وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين الكمال، غير أن هناك من لم يلتزم بلقب الصوفية ولذلك تجدهم يطلقون تسميات أو ألقاب أخرى على النّساك والمتعبدين مثل الجوعية والسّياحين وانفرد الكلباذي بإيراد بعض الألقاب الخاصة بهم في كتابه من قبل " خرجوا من الأوطان وساحوا في البلاد ... فلخروجهم سُمّوا غرباء، ولأسفارهم سُمّوا سيّاحيين، ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم في الكهوف عند الضّرورات سمّاهم بعض أهل الديار " شكفتيه" والشّكفة بلغتهم الغار والكهف[2].

**مراحل تطور التصوف:**

لقد مرّ التصوف منذ بدايته في القرن الثاني الهجري بعدة مراحل :

**المرحلة الأولى: بدايات التصوف**

وهي مرحلة ظهور التصوف على السّاحة الإسلامية منبثقا من تصاعد الزّهد المنظم ويمكن اعتبار النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بداية هذه المرحلة التي كان فيها المتصوفة لا يختلفون عن الزهاد كثيرا وكان التزامهم بالشرع واضحا وخلط الناس بينهم وبين الزهاد مما دعا الصوفية الأوائل إلى الاهتمام بالتمييز بين التصوف وغيره من المذاهب والنزاعات فكثرت أقوالهم في ذلك مثل بشر الحافي(ت237هـ) الذي ميز بين الصوفي والفقير.[3]

وبلغت هذه المرحلة نهايتها بظهور ذي النون المصري (ت245هـ) الذي كان علامة بارزة في تاريخ التصوف ويطلق عليه اسم واضع أسس التصوف، ويرى عبد الرحمان الجامي أنّه رأس فرقة التصوف أخذ عنه الجميع وانتسبوا إليه.

---

[1] الكلاباذي، **المصدر السابق**،ص34

[2] **نفسه**، ص29.

[3] البيلي، **المرجع السابق**، ص40

**المرحلة الثانية: تدعيم التصوف وانتشاره**

وتبدأ هذه المرحلة من حيث تنتهي سابقتها من ذي النون المصري حيث كان الاهتمام ينصب على توضيح أصول التصوف وشرائطه ومعانيه .[1]

فيذكر سهل بن عبد الله التّستري (ت283هـ) ان الصوفي تلزمه ثلاثة اشياء حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره [2].ولقد طرأت في هذه المرحلة إضافات كمية ونوعية على التصوف تزيد بعدا واتساعا على شكله الأول.

وقد أشار ابن الجوزي إلى ذلك فذكر أن الصوفية الأوائل كان عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرّذيلة وحمله على الأخلاق الحميدة من الزهد والعلم والصبر والإخلاص والصدق التي تكسب المديح في الدنيا والثواب في الآخرة، ثم جاء أقوام تقلدوا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك [3].

وتمتد هذه المرحلة لتشمل الجنيد (ت297هـ) الذي يضعه ابن تيمية سيد طائفة الصوفية حيث خطي التصوف على يده خطوات واسعة، إذ صاغ المعاني الصوفية وشرحها كتابة وكان يُعلّم الصوفية سرا في السراديب وفي بيوت خاصة، تتلمذ على يده العديد من أعلام التصوف اللاّحقين مثل عمرو بن عثمان المكي، وأبي بكر الشلبي، وأبي بكر بن سعدان [4].

وقد ظهر منذ نهاية القرن الثالث الهجري تصوف جديد ساهمت في ايجاده مُثل دينية مُغايرة لتلك التي كانت سائدة في صدر الإسلام، ونتج عنها كلام في الإلهيات، ظلّ

---

[1] **ذو النون المصري**: أبو الفيض، يقال ثوبان بن ابراهيم وذو النون لقب متصوف مصري شهير، انظر،السلمي أبو عبد الرحمن، **طبقات الصوفية**، تح، نور الدين شريبة، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة،1997م، ص15.

[2] **نفسه**، ص253.

[3] ابن الجوزي، **المصدر السابق**، ص161.

[4] ابن تيمية، **المصدر السابق**، ج1، ص18.

ينظر إليها زمناً طويلاً على أنّه خروج عن الدين الإسلامي الصحيح، وكان متأثرا بشكل واضح بأفكار دينية غير إسلامية.[1]

**المرحلة الثالثة: مرحلة الشطط.**

وهي المرحلة التي يمكن القول بابتدائها على يد الحسين بن منصور الحلاج المتوفي(قبل سنة 309هـ) الذي توغل في التصوف بأقوال مبهمة وتمويهات غامضة وقال بالحلول بمعنى حلول الله سبحانه وتعالى في الإنسان وسائر المخلوقات .[2]

فلم يرض عنه أحد من المسلمين حتى الصوفية كان منهم من أنكر قوله، وقد اتّهمه أهل السّنة بالمروق والزندقة وحاكموه وأعدموه في بغداد سنة 309 هـ باعتباره مبتدعا.[3]

وفي هذه المرحلة اشتّدت معارضة أهل السّنة على أقوال الحلاج وأمثاله من أهل الشّطط والتصوف ممّا أساء للحركة الصوفية وقبّح وجهها في العالم الإسلامي، فنهض عدد من معتدلي التصوف لتحسين وجه التصوف وبذلوا في ذلك جهودهم.[4]

ومن أبرزهم السّراج الطّوسي(ت 380هـ) في كتابه "اللّمع في التصوف" وعاصره الكلاباذي (ت380هـ) في كتابه "التعرف لمذهب أهل التصوف.[5]

وعملوا على تحسين صورة مذهبهم الصّوفي بالتوفيق بينه وبين مذهب أهل السنة، ومن ذلك أيضا ( الرسالة القشيرية) التي وجهها أبو القاسم القشيري(ت465هـ) إلى معاصريه.

وأنجح محاولة للتوفيق بين التصوف ومذهب أهل السنة محاولة الإمام أبي حامد الغزالي التي أرسى بها قواعد التصوف السني الذي يعنى بالجانب الخلقي التربوي ورفض أنواع

---

[1] البيلي، **المرجع السابق**، ص49.

[2] **نفسه** ، ص 44.

[3] الفريد بل، **الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من االفتح العربي حتى اليوم**، تر، عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م، ص361.

[4] عبد الرحمن بدوي، **المرجع السابق**، ص70.

[5] البيلي، **المرجع السابق**، ص45.

التصوف الأخرى كتصوف الحلاج القائم على فكرة الحلول وتصوف البسطامي القائم على فكرة الاتحاد.[1]

ويرى الفريد بل أن هذا التوفيق قام به القشيري والغزالي بين التصوف والإسلام السني أدّى دوره في التخفيف من حدة العداء للتصوف وأوجد له أنصارا في العالم الإسلامي على اتساعه خاصة في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

**المرحلة الرابعة:**

تبدأ في القرن السادس للهجرة وفيها ستحدد ملامح الحركة الصوفية في القرون التالية ممثلة في اتجاهين، اتجاه نظري فلسفي ويعد محي الدين بن عربي علمه الأشهر، واتجاه عملي منظم يتمثل في الطرق الصوفية الإخوانية الجماعية والمعروفة اصطلاحا بالطرق الصوفية، والتي تمثلت في الطريقة القادرية الجيلانية التي أسّسها عبد القادر الجيلاني المتوفى (567هـ) والطريقة الرفاعية التي أسسها أحمد الرفاعي المتوفي سنة (578هـ).[2]

في هذه المرحلة أدت آراء وسلوكيات الصوفية إلى معاودة مهاجمة أهل السنة لهم، بل تعرض التصوف لأقصى هجوم في تاريخه ،[3] من أمثال ابن عربي ومن هم على شاكلته من طرف عبد الرحمان بن الجوزي وابن تيمية والكثير من الفقهاء.

---

[1] البيلي، **المرجع السابق**، ص45.

[2] **نفسه**، ص47.

[3] الفريد بل، **المرجع السابق**، ص376.

# المطلب الثاني:

# بداية التصوف الأندلسي وتطوره

# حتى نهاية القرن 5 هـ

- **البدايات الأولى للتصوف.**
  - زهاد القرن 2 هـ .
  - زهاد القرن 3 هـ.
  - القرن 4 هـ وبداية التصوف.
- **ابن مسرة وبداية التصوف الباطني.**
  - حياتــه.
  - مذهبــه.

**بداية التصوف الأندلسي وتطوره إلى نهاية القرن 5 هـ**

يرجع ظهور التصوف الأندلسي إلى نزعة الزّهد الذي شهدته بلاد المشرق الإسلامي والذي تردد صداها ببلاد المغرب والأندلس فيما بعد ، والتي شكلت الجذور الأولى للتصوف الأندلسي وقد أثرت عدة عوامل في ظهوره وانتشاره المتمثلة في الاحتكاك بين الأندلسيين والمشارقة عن طريق الرحلات المتبادلة من أجل الجهاد والعلم والتجارة والرُّبط المتاخمة للنصارى والتي كان لها دور كبير في انتشار التصوف .

**البدايات الأولى**: عرفت المنطقة نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين وفود العديد من الزّهاد من بلاد المشرق كان من ضمنها بعض العباد والنّساك.[1]

وكان لهؤلاء العباد والنّساك أثر فعّال في استمالة الأندلسيين إلى الزهد بحسن سيرتهم وتعبدهم وجهادهم وروايتهم للعلم وتعليمه، فكانت القلوب تميل إليهم ويأنس الناس بهم وينزعون مثلهم إلى الزهد، وكان على رأسهم بعض التّابعين الذين دخلوا الأندلس مع حملة موسى بن نصير مثل التابعي الجليل حنش بن عبد الله الصنعاني.[2] الذي توفي أوائل القرن الثاني الهجري والذّي عرف في استغراقه في العبادة وقراءة القرآن ، غزى المغرب والأندلس وكان بسرقسطة وبها توفي.[3]

---

[1] عبد السلام غرميني، **المدارس الصوفية المغربية الأندلسية في القرن السادس الهجري التاريخ والفكر**، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،2000م، ص25

[2] ابو عبد الله بن فتوح بن عبد اللهالحميدي ، **جذوة المقتبس في ذكر الأندلس**،تح ، روحية عبد الرحمان السويف، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1997م، ص 78.

[3] **سرقسطة**: من كبريات مدن الاندلس، تقع على ضفة النهر الكبير المسمى إبرة تسمى بالمدينة البيضاء، متاخمة للمالك النصرانية في الشمال، انظر"، عبد الله الشريف الادريسي (ت 548 هـ-1154م) **القارة الافريقية والاندلس،مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تح،اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د ت) ، ص278.

**زهاد القرن الثاني الهجري:**

ومن أشهر زهاد القرن الثاني الهجري في الأندلس نعمان بن عبد الله الحضرمي وفد من المشرق إلى برقة فسكنها وقتا ثم رحل عنها إلى الأندلس للمشاركة في الجهاد حتى استشهد فيها مرابطا في أعلى الثغور الأندلسية.[1]

وميمون بن سعد الذي اشتهر بالزهد والصّلاح والتقوى، إضافة إلى أبو الفتح الصدفوري وفرقد السرقسطي وكان الاخير من المرابطين المجاهدين للنصارى بالأندلس والذّين حضوا باحترام الأهالي وتقديرهم .[2]

كما أنّ هناك من برع في العلوم الشرعية[3]،كزياد بن عبد الرحمن(ت193هـ) المعروف بشبطون وله عنه سماع معروف يعرف بسماع زياد وكان أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس[4].زهد في القضاء، ومن الزّهاد أيضا خلال هذه الفترة أبو العجنس[5] الزّاهد الذّي كان معاصراً للحكم بن هشام، فقد أُثرت عنه كرامات وإجابات للدّعوات عند الاستسقاء.[6]

---

[1] الحميدي، **المصدر السابق**، ص325.

[2] جمال علال البختي، **الحضور الصوفي بالأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري**، مكتبة الثقافة الدينية، الرباط،2006، ص10.

[3] عبد السلام غرميني، **المرجع السابق**، ص28.

[4] **زياد بن عبد الرحمان ( شبطون)**:أول من أدخل الموطأ الى الاندلس، كان واحد زمانه زاهدا ورعا، سمع من مالك الموطأ، اختلف عن تاريخ وفاته هناك من قال 193 هـ وهناك من قال 197هـ، انظر، الحميدي، **جذوة المقتبس**، **المصدر السابق**، ص 326 .

[5] اين الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف، **تاريخ علماء الأندلس**، تح، ابراهيم الأبياري،ج1، دار الكتب الاسلامية، بيروت 1983، ص353.

[6] جمال علال البختي، **المرجع السابق**، ص11.

**زهّاد القرن الثالث الهجري:**

خلال القرن الثالث الهجري سيعرف الاتجاه الصوفي بعض التحول بفعل احتكاك الأندلسيين بالمدارس المشرقية واطّلاعهم على آراء مشاهير الصوفية بالمشرق الإسلامي ، وهكذا سيعزز الصف الصوفي بظهور أعلام كثر حيث ظهر في هذه المرحلة عدد كبير من الزهاد والعباد من أمثال حسن بن دينار الفقيه الطليطلي، وحفص بن عبد السّلام القرطبي، وعبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى القرطبي وأبان بن عيسى بن دينار.[1]

من أهم ما يبرز في هذه المرحلة ظهور المصنّفات الزّهدية الأندلسية للتعريف برجال هذا الاتجاه .[2] وبداية إرساء تأسيس المدرسة الصوفية الأندلسية فقد ألّف محمد بن وضاح كتاب ( العبّاد والعوابد) والذي كان له فضل نشر الحديث والإسناد وله الكثير من الحكايات عن العباد، كان ورعا فقيرا مستعففا.

علّم أهل الأندلس العلم والزهد، كما ألّف يمن بن رزق[3] كتاب "الزهد" هوجم بشدة من قبل العلماء الأندلسيين والقيروانيين الذيّن رأوا في كتابه أنه ذو وساوس وأوهام وحرّموا قراءته.

كما أصبح أهل الأندلس ينظرون بعين التقديس والتقدير إلى الكثير من الزهاد والصوفية وصار يطلق عليهم أسماء "الأبدال" و "الأولياء" وكان ذلك تأثرا بالمدارس والكتب الصوفية المشرقية.[4]

---

[1] ابن الفرضي، **المصدر السابق**،ج2، ص15

[2] **محمد بن وضاح**: كنيته ابو عبد الله قرطبي رحل الى المشرق رحلتين، كان امام عالما بالحديث، توفي سنة 286 هـ، انظر: إبراهيم بن نور الدين بن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، در وتح ، مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م، ص338.

[3] **يمن بن رزق**: من أهل طليطلة يكنّى أبا بكر أصله من الثغر، حكي عنه أنه إذا أراد شراء شيءأو أن يتصدق بشيء يدخل يده تحت الحصير فيخرج دراهم، انظر، ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ص198 .

[4] البختي، **المرجع السابق**، ص11.

ومن أشهر عباد الأندلس في هذه الفترة الذّين درسوا بالمشرق عبد الله بن عبد السلام بن قلمون القرطبي.[1] ( توفي أواخر القرن الثالث الهجري) الذّي جاور مكة ولم يزل على نهج الأبدال حتى لقي الله وهو بأرض الغربة.

وما تميز به التصوف خلال هذه الفترة أيضا إنشاء الرّباطات الصغيرة التي كان يجتمع فيها بعض النّساك من أجل التأمل والجهاد والمرابطة، وقد قلد النساك بعملهم هذا متصوفة إفريقية الذّين شاع عنهم بناء المتعبدات المنعزلة في منتصف القرن الثالث الهجري بمدينتي سوسة والمنستير وغيرها.[2]

ويحكي محمود علي مكي أنّ اصطلاح "الصوفية" لم يعرف بالأندلس إلا أواخر القرن الثالث الهجري، وقد احتك الريفيون الأندلسيون الذين طُردوا من قرطبة أيام الحكم بن هشام أواخر القرن الثاني الهجري بطائفة من العباد في الإسكندرية عرفوا باسم الصوفية، ولذلك أطلق على اسم الجماعات التي انقطعت للعبادة والزهد بالأندلس، وأول من تلقب من الأندلسيين بهذا الاسم هو عبد الله القرطبي (ت 315هـ/927م)[3].

**القرن الرابع الهجري وبداية التصوف:**

انطلاقا من أواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرّابع الهجري سيتقوى التصوف ويظهر بمظهره الجديد الذّي طبع بالتأمل العقلي والوجداني، وذلك نتيجة كثرة رحلات الأندلسيين إلى المشرق وتأثّرهم بهم حين بدأت معالم المدرسة الصوفية الجديدة تتشكل بمظهرين :

---

[1] عبد الله بن عبد السلام بن قلمون ؛

[2] جمال علال البختي، **المرجع السابق**، ص12.

[3] محمود علي مكي، **التصوف الأندلسي مبادئه و أصوله**، مجلة دعوة الحق، ع، 8-9، ذو الحجة /محرم ،مايو / يونيو 1962م،ص5.

**الأول**: انعكس في اتحاد الصوفية واجتماعهم في أماكن خاصة منعزلة للعبادة والتأمل.

**الثاني**: فتمثل في بدء اصطدامهم مع الفقهاء السلفيين الذين حاولوا الحفاظ على صفاء الدين لئلا تختلط العقيدة الإسلامية بالآراءوالاعتقادات الشرقية الوثنية.[1] وعلى الرغم من المواقف المتشددة التي أبداها الفقهاء ورجال السّلطة من أهل التصوف إلا أن القرن الرابع الهجري سيعرف انطلاقة قوية للاتجاه الصوفي بالأندلس سواء باتجاهه السّني المعتدل الذي تميز رجاله باتّباعهم للقرآن والسّنة وأخلاق السلف الصالح والابتعاد عن الخوض في القضايا الفلسفية.[2]

تركزت نشاطاتهم على خدمة القضية الوطنية من خلال المرابطة بالثغور المتاخمة للممالك النصرانية والجهاد مع المنصور بن أبي عامر (366هـ-392هـ) في حملاته ضدّ الممالك النصرانية.[3]

من أشهر من مَثّل هذا الاتجاه مخارق بن حكم القرطبي الذي استشهد في إحدى المعارك ومحمد بن الطاهر القيسي التدميري الذي كان من كبار الزهاد جاهد في عهد المنصور واستقر بالثغر الأعلى استشهد عام (379هـ-989م).[4]

---

[1] البختي، **المرجع السابق**، ص12.

[2] ابراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين ( المجتمع، الذهنييات، الأولياء )**، ط1، دار الطليعة، بيروت،1993، ص131.

[3] محمود علي مكي، **التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1992، ص158.

[4] احمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، احسان عباس، ط2، ج2،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص235.

وعرف بعض صوفية الأندلس بالسياحة مثل عطية بن سعيد (ت409هـ) الذي طاف ببلاد المشرق حتى وصل إلى تركستان وعرفت له كرامات كثيرة، ومحمد بن شعاع(ت430هـ) وغيرهما[1].

وعلى الرغم من انتشار التصوف السني واستمراره برز اتجاه آخر اتصف بالباطنية والذي سيكون له الخطر الكبير في تاريخ الفكر الصوفي الذي سيؤسسه محمد بن عبد الله بن مسرة.[2]

---

[1] **محمد بن الطاهر القيسي التدميري** : يعرف بالشهيد من وجوه اهل كوره تدمير جمع بين الفقه والزهد والعلم، رحل إلى المشرق ولقي بالصالحين، لبس الصوف ثم عاد الى بلاده، اتخذ من المرابط والجهاد مسلكا له حتى استشهد، انظر، المقري،**المصدر السابق**، ج2، ص235.

[2] **محمد بن شعاع**: متصوف على طريقة قدماء التصوف وذوي السياحة المتجولين، كان حيا في حدود 430هـ ، انظر، ابن شكوال، أبو القاسم خلف القرطبي، **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، ط1، تح، محمد الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ج3، ص21.

**ابن مسرة وبداية التصوف الباطني الأندلسي:**

شهدت بلاد الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري ذلك التصوف الفردي الذي لم يلحظه أكثرية أهل الأندلس لاختلاطه بالزهد، ومع بداية القرن الرابع الهجري ظهرت النواة الأولى للمتصوفة على يد محمد بن مسرة بدعوة جديدة أطلقوا عليها اسم المسرية[1].

**التعريف بابن مسرة:**

هو محمد بن عبد الله بن نجيح، كنيته أبو عبد الله القرطبي ولد بقرطبة سنة 269 [2]هـ في بيئة زهدية وأسرة زاهدة، وكان والده يشتغل في التجارة[3]، إضافة إلى نشاطه العلمي كان يهوى أراء المعتزلة فهو الذي علّم ابنه علوم الدين والفلسفة .[4] وأخذ العلم أيضا عن محمد بن وضّاح وعلي بن عبد السلام الخشبي(ت-276هـ)[5] هذا الأخير كان يُلقّن تلاميذه من كتب المشرق وأخبار الخلافات الدينية هناك ويبدو أنّه حينذاك اهتم بالفلسفة الأمبيذوقلية كما يؤكد صاعد الأندلسي.

يرى آسين بلاتيوس أن ابن مسرة بعد ما استفاد من الجو العلمي السائد في الأندلس أسس جماعة مسرية قبل رحيله إلى المشرق ، واتّخذ منها مقراً بجبل العروس قرب قرطبة، وذلك تجنبّا لمعارضة الفقهاء المالكيين المتّشددين.[6]

أثناء رحلته بالمشرق مرّ بالقيروان ولم يطب له المقام هناك أثناء رحلته وذلك نظراً لغلبة المذهب الشّيعي ومزاحمته للمذهب المالكي ، واتّجه بعدها الى مكة وأدّى فريضة الحج.

---

[1] البختي ، **المرجع السابق**، ص 18.

[2] ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ص41.

[76] محمد الوزاد، **الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه**، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ع6، فاس، 1982-1983، ص36.

[4] آنجل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر، حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ص326.

[5] ابن الفرضي،**المصدر السابق**، ص41.

[6] البختي، **المرجع السابق**، ص18.

وهناك أُتيحت له فرصة التردّد على المتصوفة وتعميق معرفته بمذهبه، حيث بذل جُهدا كبيرا في تكوين شخصيته الفكرية فاهتّم بلقاء أهل الجدل والمتكلّمين من المعتزلة ومنهم حصل على علوم متنوعة ما مكّنه من التأثير على مستمعيه، يقول ابن حيان:" أوتي من عذوبة الكلام ومتانة الحجاج والغوص على دقيق المعاني والتكلم في ضروب العلوم ما يستلب به القلوب ولا يمنيه عنه صواب".[1]

بعد هذه الرحلة عاد ابن مسرة إلى الأندلس صدر دولة عبد الرحمن الثالث نتيجة سياسة التسامح الذي تميز بها واستقرار البلاد في هذه الفترة.[2]

وحين عودته يكون قد وصل إلى مذهب خاص به مزج فيه بين أقوال بعض الصّوفية مثل ذي النون المصري وأبي يعقوب النهرجوري من ناحية وكلام المعتزلة وآراء الفلاسفة من ناحية أخرى،[3] عمل ابن مسرة على نشر مذهبه بإظهار الزهد والورع كي لا يثير حفيظة الأندلسيين فاستهوى بها قلوب جماعة من أهل الأندلس ترددوا عليه واستمعوا له.يقول ابن حيان: " توارى في شعب الزهاد".[4]

فنظّم دعوته تنظيما دقيقًا في غاية السّرية والكتمان ، واعتمد في تعليم تلامذته ومريديه على قوة تعبيره وسحر بيانه وبلاغته المحكمة حيث يقول ابن الفرضي: " وكان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتهوية الألفاظ وإخفاء المعاني".[5] لم يدم تجمع ابن مسرة طويلا فخرج هاربا إلى المشرق خوفاً من الفقهاء المالكية وعلى رأسهم أحمد بن خالد الملقب بالحبّاب.[6] حيث يقول ابن الفرضي:" إنّه اتهم بالزندقة فخرج فاراً إلى المشرق"،كما

---

[1] البيلي، **المرجع السابق**، ص185.

[2] كلود عداس، **التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي**، تر، أحمد الصادقي،ط1 ،دار المدار الإسلامي ، 2014.ص40.

[3] محمد الوزاد، **المرجع السابق**، ص64.

[4] البيلي، **المرجع السابق**، ص184.

[5] ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ص41.

[6] **الحباب**: احمد بن خالد بن يزيد من اهل قرطبة ولد سنة 246هـ سمع من ابن وضاح والخشني دخل صنعاء وعاد الى الأندلس، كان إمام عصره في الفقه والحديث والعبادة ، توفي 230هـ انظر،ابن الفرضي،**المصدر نفسه**، ص35-36.

أصدر الفقيه الكاتب عبد الله بن محمد الزجالي(ت301هـ/914م) مرسوم عقوبة ضدّ ابن مسرة الذي اعتبره مارقا[1]، وأمام هذا الوضع وجد أنّ الرحلة إلى المشرق هي الحل الوحيد. رحل ابن مسرة إلى المشرق ويقال أنّه أخذ نفرا من أتباعه معه ، وهم ابن حزم التنوخي[2] وأحمد بن غانم القرطبي[3] ومحمد بن وهب المعروف بابن الصقيل[4].مريديه الثقات واتخذ منهم دعاة وأئمّة واكتتم شأنه حتى نما .

استطاع ابن مسرة بتخطيطه من استمالة أعداد كبيرة من أهل الأندلس إلى مذهبه قبل وفاته سنة 319هـ وانتشرت دعوته خلال حياته وبعد وفاته دون مقاومة من جانب الدولة أو من مشيخة الأندلس أي الفقهاء.لكن اشتغال الدولة لم يدم طويلا خاصة بعد استقرار الأوضاع في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وبسط الخلافة هيمنتها على سائر البلاد وكان قد شاع المذهب المسّري وأصبح يهدّد شيوخ العصر من الفقهاء، ففزع كبار الفقهاء إلى الخليفة ينبّهونه إلى خطورة الدّعوة المسرية وأنه يجب التصّدي والقضاء على هذه الفتنة المذهبية والسياسية.[5]

استجابة الخليفة الناصر لتحريض الفقهاء وتتبع أئمتها ودعاتها، فتمادى الطلب للمسرية والإخافة لهم وتخويف النّاس من فتنتهم بقية أيام النّاصر.[6]وعلى الرّغم من تعقب

---

[1] فاطمة الزهرة جدو، **السلطة والمتصوفة عهد المرابطين والموحدين479هـ،635هـ/1086م،1238م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف د/ إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة.الجزائر . 2007م،2008م.ص22.

[2] **محمد بن حزم التنوخي**: من أهل طليطلة سكن قرطبة يعرف باسم ابن المديني، صحب ابن مسرة واختص بمرافقته في طريق الحج كان من أهل الورع والانقباض، انظر، ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج1، ص365.

[3] **احمد بن غانم**: قرطبي رحل مرافقا ابن مسرة في وجهته الى الحج (311هـ) كان نقيما ورعا وناسكا، انظر ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت(د، ت)، س1، ق1، ص352 .

[4] **محمد بن وهب القرطبي**:من اهل قرطبة يعرف بابن الصقيل، صحب ابن مسرة، رافقه الى الحج، كان خير فاضلا، توفي 321هـ، انظر، ابن الابار، **التكملة لكتاب الصلة**، تح، عزت العيطيار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د،ت) ، ج1، ص362.

[5] حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**،ط2، دار الرشاد للطباعة والنشر ،القاهرة،1997، ص87.

[6] البيلي، **المرجع السابق**، ص 81.

الدّولة والفقهاء المالكية لأتباع المسرية فإن دعوتهم لم تقتلع من الأندلس وظلّت قائمة ولها أتباع وكان على رأسهم إسماعيل الرّعيني من أهل بجانة بهذا كانت الدعوة المسرية الخطوة الأولى في طريق التصوف الأندلسي الفلسفي الذي أرسى دعائمه ابن العريف (ت536هـ) ومنه اقتبس فيما بعد تصوف الطرق الجماعية الإخوانية التي ستصبح سنة التصوف الإسلامي منذ القرن السابع الهجري.[1]

**مذهب ابن مسرة:**

جمع ابن مسرة بين مبادئ التصوف وبين أصول الاعتزال فلم يكن معتزليا خالصًا ولا باطنيا خالصاً، ففيما يتعلق بالأصول الاعتزالية نجد أنه من أنصار الاستطاعة والوعد ورؤية الله وفي هذا يقول ابن حزم " كان محمد بن عبد الله بن مسرة الأندلسي، يوافق المعتزلة في القدر ويقول بخلف علم الله وقدرته، وكونها صفتان محدثتان."[2]والجانب الأهم في فكر وعقيدة ابن مسرة وهو الجانب الفلسفي الباطني الغوصي، هذا الجانب الذي تقف عليه جل من درس فكره وترجم له من المؤرخيين فنجد صاعد الأندلسي يقول:" وكان محمد بن مسرة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفا بفلسفته دؤوبا على دراستها".وهنا يقصد فلسفة اليونان الأوائل ويخص انبذوقليس .[3]

ومن الآراء المنسوبة إلى أنبذوقليس الجمع بين معاني صفات الله، وأنّها كلّها تؤدي إلى شيء واحد، كما يزعم أنّ هناك مادة روحية تشترك فيها كل المخلوقات ما عدا الله.[4]

---

[1] بالنثيا، **المرجع السابق**، ص323.

[2] فاطمة الزهراء جدو، **المرجع السابق**، ص25.

[3] جمال علال البختي، **المرجع السابق**، ص22.

[4] إحسان عباس، **المرجع السابق** ، ص16.

# المبحث الأول:

# التصوف الأندلسي عصر المرابطين والموحدين وأقطابه

- **المطلب الأول**: التصوف السني المعتدل.
- **المطلب الثاني**: التصوف السني الفلسفي.

# المطلب الأول:

# التصوف السني المعتدل

- فئة الزهاد.
- فئة الوعاظ.
- فئة المرابطين المجاهدين.

عرفت بلاد الأندلس عهدا جديدا في عهد المرابطين والموحدين نتيجة للتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي عرفتها هذه الفترة الممتدة من معركة الزلاقة سنة 479هـ إلى موقعة العقاب سنة 609هـ، والتي عرفت تناميا كبيرا لعدد المتصوفة وبروز شخصيات كان لها الأثر الواضح في الفكر الصوفي، بتياريه الزهدي والفلسفي ولعل المدرسة المسرية وامتداد أفكارها وانتشارها لعبت دورا مهما في الحياة الصوفية في هذه الفترة وهذا ما نلحظه في أفكار المتصوفة الذين نحو منحنى باطني فلسفي رغم بعض الاختلافات الفكرية بينهم، فما هي أهم التيارات الصوفية التي عرفتها هذه الفترة؟

**التصوف السني المعتدل:**

عرف هذا النوع من التصوف انتشارا كبيرا حيث عرف اصحابه الالتزام بتعاليم القران الكريم والسنة النبوية الشريفة بالإضافة الى اتباع اخلاق السلف الصالح والابتعاد قدر الامكان عن الخوض في القضايا الفلسفية كالحلول والاتحاد والوحدة والإشراق.[1]

ومع هذا فقد اختلف متصوفة هذا الاتجاه في طرق مجاهداتهم وعلى هذا الاساس يمكن ان نميز ضمن هذا الاتجاه تيارين: الاول تمثله مجموعة من المتصوفة امتازوا بتقشفهم وبساطتهم التي تصل الى حد السذاجة[2].وهو ما اصطلح عليه الأستاذ بوتشيش بالتصوف السني الساذج.[3]

وهذه الفئة هي أقرب إلى طريق الزهد منه إلى التصوف، أما الاتجاه الثاني الذي بزغ نجمه في الأندلس خاصة في العهد المرابطي لما بدأ التصوف يتأثر بالتراث اليوناني كفلسفة

---

[1] الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ/ 12 و13 م، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والفكري والسياسي**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر،2004م، ص103.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، بيروت،2000،ص130.

[3] **المرجع نفسه**، ص132.

افلاطون وارسطو التي ترجمت في المشرق ثم نقلت الى الاندلس، بالإضافة الى مؤلفات الفارابي وابن سينا واخوان الصفا.[1] وهو ما أنتج لنا ما يسمى بالتصوف السني الفلسفي.

**التصوف السني الزهدي:**

ظهر هذا النوع من التصوف في وقت مبكر في الأندلس وانتشر على شكل حركة زهدية، مثلتها جماعة من العباد والأتقياء الذين لعبوا دورا فعالا في المجتمع الأندلسي.

ويعد القرن السادس الهجري والربع الأول من القرن السابع الهجري العصر الذهبي له،وذلك بسبب الظروف العامة التي ساعدت على شيوعه في المجتمع الاندلسي،فكتب التراجم تزخر بأسماء هؤلاء في هذه الفترة وما بعدها،إلا ان هؤلاء المتصوفة لم يكونوا بارزين فجاءت تراجمهم مقتضية تقتصر اغلبها على ذكر أ صل صاحبها والعلوم التي برع فيها ووفاته، وفي حالات كثيرة لا يذكر تاريخ الوفاة كما ان هذه التراجم لم تأت بذكر مصطلح صوفي فنجد عبارات مختلفة مثل زاهد، ورع، ومنقبض عن الدنيا، متدين...الخ.

هذا الاتجاه ضم أولئك العباد الذين اقتفوا اثر السلف الصالح ورفضوا المجاهدة النفسية وتبنوا مبدأ المجاهدة العملية والمتمثلة في المرابطة في الثغور المتاخمة للممالك النصرانية من المرابطين الى الموحدين في النصف الاول من القرن السادس الهجري، والتي عرفت الاندلس انتكاسات مفجعة كموقعة اقليش، أو في بداية القرن السابع الهجري في موقعة العقاب التي تبين الوضع المتأزم الذي آلت إليه الأندلس.[2]

---

[1] بوتشيش، **المرجع السابق** ، ص132.

[2] **موقعة العقاب**: تقع بين جيان وقلعة رباح، كانت في هذا الموضع وقيعة عظيمة وهزيمة على المسلمين شنيعة ، منتصف سفر سنة 609هـ وكان رأس الجيش الموحدي الخليفة الناصر، انظر: عبد الواحد المراكشي(ت699هـ/1270م) **المعجم في تلخيص أخبار المغرب**،تح،محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1411هـ-1994، ص265.

**فئة المرابطين المجاهدين:**

من اوائل من مثلوا هذا التوجه في الاندلس خلال القرن 6هـ/12م علي بن عبد الله بن ثابت الانصاري(ت539هـ/1144م)[1] الذي جمع بين العلم والزهد اشتهر بإجابة الدعوات والتزم بسنن الصالحين، اتخذ الغزو مسلكا لحياته إلى ان استشهد.[2]

كما نجد ضمن هذه الفئة شيوخ ابن عربي، ابو العباس بن همام الذي استقر في احد ثغور الاندلس مرابطا يقال له جلمانية.[3]

إضافة إلى عمر بن محمد الهمداني(ت540هـ/1145م) الذي توفي شهيدا في احدى المواقع وتجدر الاشارة الى ان بعض الصلحاء والمتصوفة شاركوا في اغلب المعارك التي خاضها الموحدون كأبو عبد الله بن صاحب الصلاة، الذي نعته ابن الخطيب بالشهيد في موقعة العقاب، ومحمد بن حسين بن خلف الانصاري الذي استشهد في نفس الموقعة.

ومن بين متصوفة التيار السني الزهدي من اعتمد اسلوب القيام والتهجد في العبادات اضافة الى اتباع المسلك التقشفي في المأكل والمشرب والتقيد بأخلاق السلف الصالح بغية تجريد النفس وتطهيرها من حب الدنيا، متخذين من البيوت والجبال والكهوف أماكن يتعبدون فيها.[4]

---

[1] **علي بن عبد الله بن ثابت الانصاري:** غرناطي رحل الى المشرق حاجا وسمع هناك، ثم قفل راجعا الى الاندلس، كان من جملة المقرئين... انظر، ابن عبد الملك ،**المصدر السابق**، ص244/105.

[2] ابن عربي محمد بن علي (638هـ/1240م) **رسالة روح القدس**، تق، بدوي طه علام، ط1، دار عالم الفكر.1989، ص 123.

[3] **محمد بن محمد بن عبد الرحمن بدر الهمداني:** من اهل غرناطة، يكنى ابا الحسين، من فقهاء غرناطة ومحدثيها ،انظر، ابن الزبير ، **صلة الصلة**، تح،عبد السلام هواس وسعيد عراب، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1994، ص165.

[4] الطاهر بونابي، **المرجع السابق**، ص109.

ومن أمثلة هذا الاتجاه أحمد بن عبد الحميد بن سالم (ت624هـ/1226م) [1] والذي وصف أنه كان مثابرا على التهجد يغلب عليه الخشوع، ومن أمثال أحمد بن عبد المجيد كثر في هذه الفترة، مثل محمد بن يوسف بن سعادة (ت535هـ/1140م)[2] الذي كان يقضي معظم وقته في تلاوة القران ليلا نهارا، كثير الخشوع في الصلاة، وداود بن يزيد (ت573هـ، 112م)[3] المتقشف، قيل أنه كان كثير الخشوع عند قراءة القران، كان يأكل الشعير، ولم يأكل لحما من الفتنة الأولى.[4]

**فئة الوعاظ:**

وهناك فئة من هذا الاتجاه اعتمدوا الوعظ والتذكير طريقة الى الزهد في الدنيا والدعوة الى حب الله والتذكير بيوم الاخرة، وهذا العدد كان موجودا بالأندلس، الا ان عددهم قد ازداد خلال القرن 6هـ/12م، وذلك نتيجة الفساد الذي اصاب المجتمع الاندلسي بمختلف مظاهره من مجون ولهو وترف...الخ.

وأمام هذا الوضع المتردي لم يجد جماعة من الاتقياء بديلا من محاربة هذا الفساد ولو بأضعف الايمان، لذلك اتخذوا سبيلهم إلى الوعظ والتذكير طريقا إلى الإصلاح والتغيير ومركزهم المساجد، ويأتي على رأس هؤلاء، علي بن حسين بن محمد (ت578هـ، 1182م)[5] الذي اشتهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ في المساجد إضافة إلى حليم بن

---

[1] **مالقي**، من شيوخه عبد الرحمن بن عبد الله السهلي وغيره، غلب عليه علم الحديث انظر: ابو عبدالله بن عبد الملك الأنصاري، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ، تح، محمد بن شريفة ، س1، ق1،دار الثقافة للنشر ، بيروت ، دت، ص206.

[2] **محمد بن يوسف بن سعادة** : من شاطبة، جمع معارف عدة من نحو ولغة وعلم الكلام، اشتهر بميله إلى التصوف، انظر، السيوطي، المصدر السابق،ج1، ص277.

[3] **داود بن يزيد**: من أهل قلعة يحصب، برع في علم النحو حتى أصبح من النحويين في عصره، انظر: ابن الزبير، المصدر السابق،ج5، ص367.

[4] نفس المصدر، ج5، ص368، بوناني، **المرجع السابق**، ص103.

[5] **علي بن حسين بن محمد**: شقري، من عباد الله الصالحين، اوثرت عنه كرامات كثيرة، انظر، ابن عبد الملك، المصدر السابق، مخ5، ق1/ص205.

عبد العزيز (ت564-1169م)[1] ، الذي اتخذ من الوعظ منهاجا له " فنفع الله بصحبته خلقا كثيرا".[2]

وفي هذا الاتجاه الزهدي ايضا برز فئة اثرت الخلوة والانقطاع والاعتكاف في المساجد او في البيوت على المشاركة في الحياة العامة بمختلف مشاكلها، كعبد الجليل بن موسى الأنصاري (ت608هـ-1211م)[3] الذي آثر التفرد والانقطاع عن الناس".[4]

من خلال تعرضنا إلى منظومة هذا الاتجاه نستنتج أن لهم إلمام بالعلوم الشرعية بمختلف فروعها من فقه وحديث وقراءات كحليم بن عبد العزيز الذي برع في الحديث وهناك من برع حتى في العلوم الأخرى، كالتاريخ والنحو وعلم الكلام مثل: محمد بن يون بن سعادة الذي وصف بأنه كان حاذقا في علم الكلام.

---

[1] ابن عبد الملك، **المصدر السابق**، س5، ق1،ص430.

[2] **المصدر نفسه**،س5، ق1، ص430.

[3] **عبد الجليل بن موسى الانصاري الاوسي**: من احواز قرية، كنيته ابو محمد، يعرف بالقصري نسبة الى قصر كتامة، اشتهر بكلامه السهل في التصوف، انظر ابن الزبير، **المصدر السابق**، ج4،ص، 31،32.

[4] السيوطي، **المصدر السابق**، ص277.

# المطلب الثاني:

# التصوف السني الفلسفي

- الاتجاه الفلسفي المعتدل.
- الاتجاه الفلسفي الباطني المتشدد.
- الاتجاه الفلسفي المحايد.

**التصوف السني الفلسفي:**

إن السمة الغالبة على متصوفة هذا الاتجاه التزامهم بتعاليم القران والسنة والنزوع إلى كشف حجاب الحس، بهدف إدراك الحقائق الإلهية، واكتساب العلوم الكونية بالإضافة إلى التركيز على تصفية النفس وتجريدها من علائق البدن، وهذا لا يتم إلا باستخدام المجاهدات والرياضات كالقيام والخلوة والصيام والذكر.[1] وينقسم إلى عدة اتجاهات .

لعب هذا التيار دورا كبيرا في الحياة الأندلسية بمختلف مناحيها والذي تبنى المبادئ الصوفية الغزالية القائمة على المجاهدات للوصول إلى كشف الحقائق والميل إلى العلوم الباطنية،[2] ويتميز أتباع هذا الاتجاه بالمسالمة والموادعة، والابتعاد قدر الإمكان عن الدخول في صدامات مع السلطة المرابطية، إذ تزعم هذا الاتجاه شخصية ابن العريف الذي جمع بين العلم والتصوف، وهذه الميزة انفرد بها متصوفة الأندلس، وهي كون اغلبهم مثقفين، إضافة إلى شخصيات أخرى كانت عونا له في مهمته، والذي جمعت بينهم الأهداف المشتركة على الرغم من الاختلاف في الآراء.

ومن أبرز متصوفة هذا الاتجاه شخصية ابن العريف وتصوفه والتي اتخذت من مدينة المرية مركزا لها.

**حياة ابن العريف:**

أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، كنيته أبو العباس[3]، ويلقب بابن العريف ينحدر من قبيلة صنهاجة وبالضبط من مدينة طنجة الموطن الأصلي لوالده الذي انتقل منها إلى الأندلس، واستوطن في مدينة المرية حيث انخرط في سلك شرطتها[4]، على

---

[1] الطاهر بوناني، **المرجع السابق**، ص116.

[2] نفس المرجع ، ص136.

[3] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ص81.

[4] ابن الابار، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي(ت594هـ، 1160م)** تح، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ-1989، ص27.

عهد أميرها المعتصم بالله(413-484هـ) وفي المرية ولد ابن العريف في حدود سنة (485هـ)[1]، حسب الذهبي.

ولد ابن العريف في النصف الثاني من القرن الخامس أي في المرحلة الانتقالية لانتقال الحكم إلى العنصر البربري المتمثل في المرابطين بعد الانتصارات التي حققوها ضد المماليك النصرانية خاصة موقعة الزلاقة[2]، وتوحيد الأندلس بعد القضاء على مماليك الطوائف ومن بينها حكم بن صمادح.قصد ابن العريف مجالس العلم المنتشرة بالمرية، يستمع إلى القران والحديث واللغة ويقرا الكتب المختلفة التي الفت فيها، ثم انتقل في حواضر الأندلس ينهل من علم شيوخها، كما كان يستغل فرصة عبور العباد والعلماء من مدينته للاستزادة من علمهم.[3]

تتلمذ على أبو الحسن بن محمد البرجي المتوفي سنة 506هـ/1112م. والمحدث أبو علي الصدفي، حيث اخذ عن هؤلاء القران الكريم وتعلم القراءات وسماع الحديث وجمع الروايات واللغة، إلا انه لم يغادر الأندلس مثلما فعله أقرانه.بعد أن نال مختلف المعارف، دخل مرحلته العملية حيث أقرأ بسرقسطة ثم بالمرية كما ولي الحسبة ببلنسية[4]، إضافة إلى معارفه السابقة إلا انه كان شاعرا فنظم وأجاد خاصة في الشعر الروحي.إضافة إلى ذلك غلب عليه الزهد والورع، فاجتمعت له بذلك جميع المؤهلات التي جعلته قبلة للطلبة

---

[1] الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد،**سير أعلام النبلاء**،تح، شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، سورية، 1985م، ج2، ص112.

[2] **موقعة الزلاقة**: وقيعة شهيرة بيمن الجيوش الاسلامية بقيادة يوسف بن تشفين والجيش النصراني بقيادة الفونسو السادس دارت رحاها في سهل من عمل بطليوس يقال له الزلاقة يوم الجمعة، رجب 479هـ، انظر: مجهول ، **الحلل الموشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م

[3] ابن العريف، **المصدر السابق**، ص18.

[4] **بلنسية** :شرق الاندلس، جمعت بين البرو البحر والزرع، كما لها السهل والجبل، وهذا ما أهلها لتكون أطيب البلاد وأحسنها هواء، واجملها بساتين، ومع كل هذا هي مدينة منيعة.انظر الحميري ،المصدر السابق،ص 307.

والمريدين الذين التفوا حولهينهلون العلم، كما قصده العباد والزهاد،" وكان العباد يألفونه ويحمدون صحبته".[1]

ومع علو اسم ابن العريف في سماء الأندلس أحس الفقهاء المالكية بالسوء واعتبرته منافسا خطيرا لها، إذ كان من معارضيه قاضي المرية ابن الأسود،[2] الذي أوغر صدر الأمير علي بن يوسف(500هـ-537هـ)[3] مما اضطر هذا الأخير إلى القبض عليه وإرساله إلى مراكش مع بعض إتباعه، وهناك في مراكش تراجع الأمير المرابطي عن قراره حين سمع منه فعظم مقامه وأطلق سراحه.[4] من ابرز مؤلفاته، محاسن المجالس، مطالع الأنوار ومنابع الأسوار، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة تتلخص حقيقة مذهبه انه كان ينحو منحى باطنيا وذلك راجع الى تأثره بالثقافة الفلسفية الاشراقية التي كانت رائجة في بيئته لا سيما ما تعلق بفلسفة ابن مسرة وتلميذه الرعيني.[5]

رغم منحى تصوفه الباطني إلا أنه لم يقل بالحلول ولا بالاتحاد بل غاية الصوفي بالنسبة له الفناء في الله.مجمل القول أن ابن العريف كان معتدلا في أفكاره وتصوفه إذ في كتابه (محاسن المجالس) حاول شرح مذهبه الصوفي وتحليل بعض المقامات والأحوال الصوفية.[6]

---

[1] ابو العباس بن خلكان ، **وفيات الأعيان**، تح،إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1972م،ج1، ص169.

[2] **القاضي ابن الأسود**: أبو بكر بن محمد بن ابراهيم الغساني من اهل المرية تولى القضاء بمرسية لم تحمد سيرته فيها، ثم ولي قضاء بلاده توفي في مراكش، في نكبته سنة 536 هـ.

[3] أصحابه:يعني: ابن برجان وأبو بكر الميورقي.

[4] ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف**، تح،أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الادب، الرباط، 1979م ص119.

[5] البختي، **المرجع السابق**، ص32.

[6] يحى هويدي، **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ت)، ص257.

**مدرسة المرية واقطابها:**

لعب الموقع الجغرافي لمدينة المرية دورا هاما في النشاط الاقتصادي الممارس في المدينة فموقعها بين مناطق جبلية جعل سكانها يتجهون نحو البحر والاهتمام بالتجارة.

فوفود العلماء والزهاد عبر ميناءها الذي يعتبر المعبر الرئيسي الى بلاد الاندلس حاملين معهم مصنفاتهم في هذا الميدان اضافة الى احتضانها تلامذة ابن مسرة الجبلي وعلى رأسهم إسماعيل الرعيني مع وجود عدد من العباد والزهاد بالمنطقة.

كل هذه العوامل تبين لنا ان جذور الصوفية كانت موجودة بالمرية ضف الى ذلك الجو العلمي السائد في المدينة والذي ساعد على الإتصال بالمتصوفة والإطلاع على مؤلفاتهم كمؤلف الامام الغزالي الذي عرفت كتبه رواجا كبيرا داخل الأندلس رغم معارضة الفقهاء المالكية الذين استماتوا في مراقبة الصوفية وقمع كتب الغزالي.[1]

**ابن برجان:**

هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن ابي الرجال اللخمي الافريقي ثم الاشبيلي شيخ الصوفية.(ت536هـ/1141م).قال ابن الزبير:"كان مؤثرا بطريقة التصوف... وعلم الباطن متصرف في ذلك عارفا بمذهب الناس.[2]ويبدو ان تصوفه كان ينحو منحى باطنيا ولا شك إنّ تأثره بالثقافة الفلسفية الإشراقية التي كانت رائجة في بيئته لا سيما ما تعلق منها بفلسفة ابن مسرة وتلميذه الرعيني وغيرهما.

وعلى قول ابن تيمية وابن الجوزي، فان ابن برجان تأثر في تصوفه التي تنسب الى ابي عبد الله محمد بن محمد بن سالم البصري(ت297هـ/909م) وهو مبدأ صوفي يعتقد بالخلق المستمر، فالله خالق في كل آن يفعل في كل شيء بحركة وسكون، وفعله القديم يجعله يتجلى في كل مكان. ويتجلى الله في صورة إنسانية حيث يراه الخلق عيانا في الآخرة

---

[1] بوتشيش، **المرجع السابق**، ص166.

[2] ابن الزبير، **المصدر السابق**، ص 392.

فيتجلى في صورة (محمدي). كما أنه يتجلى في الدنيا عيانالأوليائه.[1] وذهبت السّالمية إلى تغدير الشيطان لأن الله أمره بالسجود وأراد منه المعصية، وممن أخذ بهذا الرأي أبو طالب المكي صاحب كتاب(قوت القلوب) الذي أثر في المغاربة والأندلسيين تأثيرا قويا.

أكد بعض الباحثين تأثر ابن مسرة شيخ ابن برجان بالحلاج مما يعني أن الفكر المسرّي الذي انتهى إلى ابن برجان ومن جاء بعده من الاشراقيين ظل يقتبس من مشكاة الغنوصية والهرمسية والأفلاطونية المحدثة والفكر الاسماعيلي الباطني، بحيث اختلطت فيه الفلسفات المشرقية الإشراقية وأصبح من الصّعب التمييز بين ما هو أصيل وما هو دخيل، يقول النشار" أثّرت الباطنية في المدرسة الباطنية شبه الإسماعيلية في الأندلس مبتدئة بابن برجان ومارة بابن قسي وابن عربي ويقرر ابن تيمية أن كثيرا من آراء محي الدين بن عربي في وحدة الوجود اتخذت لها صيغا سالمية، ثم إنّ كثيرا من آراء السالمية حفظت في آراء وعقائد الشاذلية."[2]

وإنّه من الصعب تحديد العدد الصحيح لكتب ابن برجان إلا أن له كتابين مشهورين(شرح أسماء الله الحسنى) و (تفسير القرآن)[3]، والذي لم يكمله، وقد لقي ابن برجان أسوء مصير له على يد الأمير علي بن يوسف الذي استقدمه إلى مراكش وبها توفي، وقد ذكر ابن الزيات الصورة التي عومل بها من طرف السلطة بعد وفاته مما يعكس الرأي العام الفقهي والسيّاسي على الرجل ويؤكد من جهة أخرى تورطه بالباطن والقول بالتأويل، يقول التادلي: ولما أُشخص أبو الحكم ابن برجان إلحضرة مراكش فسئل عن مسائل عيبت عليه فأخرجها على ما تحتمل من التأويل فانفصل على ما ألزم من النقد ...[4].

---

[1] عبد القهار البغدادي، **الفرق بين الفرق**، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، المكتبة العصرية، بيروت1990م،ص216.

[2] البختي، **المرجع السابق**، ص33.

[3] ابن الآبار، **التكملة، المصدر السابق**، ج2، ص645.

[4] ابن الزيات ،**المصدر السابق**، ص170.

ومات أبو الحكم فأمر السّلطان أن يطرح في المزبلة ولا يصلى عليه، وقد قلد فيه من تكلم فيه من الفقهاء.

**الميورقي:**

هو محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشير الأنصاري المعروف بالميورقي[1]، من سكان مدينة غرناطة فقيه ظاهري خبير بعلم الأنساب والحديث.وهو الأندلسي الذي ساهم مساهمة كبيرة حين مَثَّل حلقة وصل بين التصوف المشرقي والتصوف المغربي الإسلامي.رحل من الأندلس حاجا فسمع من أبي عبد الله الرّازي بالإسكندرية ومن أبي بكر الطرطوشي، كما سمع بمكة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وأبي نصر عبد الله النهاوندي، وبعد أداء مناسك الحجّ عاد إلى وطنه واتّخذ من الرحلة في أنحاء الأندلس مسلكاً له من أجل التعليم والعلم معا.[2]

وقد غُرّبَ هو الآخر إلى مراكش رفقة ابن العريف وابن برجان إلا أنه تمكن من الهروب قاصداً المشرق، ثم عاد واستقر بمدينة بجاية وظلّ هناك إلى أن توفي سنة 537هـ/1142م[3] بعد مرور عام على وفاة صاحبيه.

في الأخير يمكن القول أن العريفية وأتباعها كانت استمرارية للنّهج الصّوفي بطابعه الزّهدي إضافة إلى تأثرها ببعض الممارسات الصّوفية للمدرسة المسّرية.

---

[1] ابن الزبير، **المصدر السابق**، ج5، ص392.

[2] المقري، نفح الطيب، ج2، ص155.

[3] ابن الابار، المعجم، **المصدر السابق**، ص132.

**التيار الفلسفي الباطني المتشدد:**

عرف التصوف على يد ابن قسي تحولًا كبيراً، والذي ظهر في منطقة غرب الأندلس والذي تحول التصوف من خلاله من ممارسة روحية إلى طموح ورغبة سياسية، فمن هو ابن قسي وما هو تصوفه؟

ابن قسي هو أحمد بن الحسين بن قسي بفتح القاف كنيته أبو القاسم (ت546هـ/1151م).[1] يقول ابن الآبار الذي انفرد بترجمة مفصلة له في كتابه (الحلة السيراء) أنه على ما يبدو لم يكن من أصل عربي إسلامي، بل من الملاحظ أنه ينتسب إلى أصل رومي من مدينة شلب.تقلد في بداية حياته بعض وظائف الدولة، فهذا ابن الآبار يذكر انه نشأ مشتغلا بالأعمال المخزنية.

كما يذكر المؤرخ الألماني يوسف أشباخ أنه اشتغل بالتجارة[2] ، وكان من الطبقة المتوسطة ما جعله يتطلع إلى مكامن الضعف والخلل في النظام المرابطي.تظاهر ابن القسي بالزهد والورع وطاف في أنحاء الأندلس المختلفة واستفاد من الجو الصوفي السائد بالأندلس آنذاك خاصة المرية.

**فكر ابن قسي:**

أهم ما ميّز فكر ابن قسي تبنيه لفكر الإمام الغزالي[3]، فقد كان مهتما بكتاب الإحياء وبشرحه في مجالسه والتعقيب عليه والدفاع عنه أمام الحضور،وهذه سمة كانت مشتركة بين صوفية المغرب والأندلس على السواء[4].

---

[1] ابن الابار، **الحلة السيراء، المصدر السابق**،ج2،ص197.

[2] يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر، محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.ص216.

[3] ابن الابار، **المصدر السابق**، ج2، ص197.

[4] غرميني، **المرجع السابق**، ص216.

عاد ابن قسي بعد طوافه ببلاد الأندلس إلى مدينته شلب، وابتنى رابطة[1] بينما يذكر ابن الخطيب أنه بنى مسجدا وهناك جمع حوله الكثير من الأتباع والمريدين، ويبدو أن الدّعوة الصوفية قد لقيت تجاوبا ملحوظا غرب الأندلس، يقول ابن الآبار:" ثم انصرف إلى قريته وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظّاهر، ويستجلب أهل هذا الشأن محرّضا على الفتنة وداعيا إلى الثورة في الباطن...[2]من هنا يبدو أن ابن قسي كان اتجاهه باطنيا وهذا ما يظهر جليا في كتاباته الصوفية التي جسّدها في كتابه المسمى( خلع النعلين واقتباس الأنوار من موقع القدمين).[3]وقد قام ابن عربي تلميذه بشرح هذا الكتاب ويبدو بجلاء أن فكره وأراءه كانا يميلان إلى القوة بآراء المدرسة المسرية.

من خلال ما سبق يتضح أن ابن قسي حشد الأتباع والجموع وأخذ ينتظر الفرصة المواتية من أجل تحقيق أهدافه السّياسية، والسؤال المطروح هو كيف تحول ابن قسي من الوعظ والإرشاد والتربية إلى النّداء بالثّورة والقتل والتآمر على السّلطة المرابطية؟

هذا ما يوضح أنه لم يكن صوفيا بمعنى الكلمة وإنما كانت له أهدافه وطموحاته السياسية الخاصة، وكان التصّوف وسيلة توصله إلى تحقيقها والتي استعملها كقناع للوصول إلى غايته متحيّنا الفرصة المواتية إذ استغل فترة الاضطراب والفراغ السياسي وتأزم الأوضاع ليعلن الثورة.

---

[1] غرميني ، **نفس المرجع**، ص208.

[2] ابن الابار، **المصدر السابق**، ج2، ص197.

[3] البختي، **المرجع السابق**، ص35.

**الاتجاه المحايد: ابن عربي**

يعتبر من روّاد المدرسة الصوفية الباطنية الأندلسية وأحد أقطابها والذّي انقسم الناس حول آرائه بين مؤيد ومعارض، فقد دافع عنه عدد كبير من تلامذته ومؤيديه وشهدوا له بالعلم والولاية كما كثر معارضوه والناقمون عليه الذين وصفوا عقيدته بعظيم المتناقضات.[1]

**حياته:**

اتّفقت المصادر التي ترجمت لحياته على أن اسمه الكامل هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الحاتمي،[2] يتصل نسبه بعدي بن حاتم الطائي، وبالتالي فابن عربي من أصل عربي أصيل وبالضّبط من قبيلة طيء كنيته أبا بكر،[3] كما لُقّب ابن عربي بألقاب مختلفة من بينها الشّيخ الأكبر، سلطان العارفين، ابن أفلاطون،[4] و أضاف الغبريني اسما جديدا وهو ابن سراقة، ولا ندري صحة هذا اللقب، كما يعرف بابن عربي بدون ألف ولام عند أهل المشرق للتفريق بينه وبين القاضي أبو بكر بن العربي.[5]

أما لدى أهل المغرب فيعرف بابن العربي ولد بمرسية سنة 560هـ/1165م في أسرة أندلسية اشتهرت بالورع والصلاح أبوه محمد كان رجلاً صالحاً انكب على دراسة الفقه والحديث وأمّه أيضا كانت صالحة، انتقل والده إلى إشبيلية حين بلغ ولده الثامنة من عمره، كان حاكم إشبيلية في تلك الفترة محمد بن سعد ، وهناك تلقى علومه في الدين والأدب والتّاريخ كما عكف على قراءة الكتب الصوفية، واتصل بالعديد من شيوخ الطريقة

---

[1] ساعد خميس، **الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية**، دكتورة دولة في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص20.

[2] الغبريني، **المصدر السابق**، ج3، ص435.

[3] ابن الآبار، **التكملة**، ج2، ص652.

[4] محمد علم الشقيري، **ديوان ابن عربي، ذخائر الاعلاق، شرح ترجمان الاشواق**، ط1، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية 1995، ص8.

[5] **أبو بكر بن العربي المعافري المالكي**: قاضي من حفاظ الحديث والاصول والتفسير ولي قضاء اشبيلية ودفن بها سنة 543هـ،انظر، القاضي عياض، **الغنية**، تح، علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص39.

الصوفية حيث أورد في رسالته (روح القدس) قائمة بشيوخه خاصة الإشبيليين[1]، بعد ذلك بدأ ابن عربي رحلته العلمية، فانتقل إلى بلاد المغرب ونزل بجاية سنة 597هـ وأخذ عن أشياخها[2] ثم رحل حاجّاً إلى المشرق[3]، ولم يعد بعدها إلى وطنه، فسمع بمكة وبغداد ودمشق، كما درس الحديث ومال إلى طريقة التصوف ثم اتجه شرقاً حتّى وصل إلى بلاد آسيا الصّغرى وختم سلسلة رحلاته بزيارة الشّام الّتي استقر بها إلى أن توفي بها سنة 638هـ-1204م، وقد بلغ من العمر 80 سنة ودفن بقرية الصالحية[4].

خلّف ابن عربي إرثا فكرياً من المؤلفات التي تربو على المائتين مؤلفا على الأقل، شرح في بعض منها نظريته الصّوفية ومن أهم هذه المؤلفات "الفتوحات المكية" " فصوص الحكم" و "مواقع النجوم والأنوار فيما يفتح على صاحب الخلوة من الأسرار".[5]كما ألّف في التفسير كتاب "التفسير الكبير" ولم يتمكن من إتمامه ثم الكتاب المعروف "بتفسير الشيخ الأكبر" وهو تفسير رمزي صوفي للقرآن الكريم[6]، وله أيضا العديد من المؤلفات الشعرية تتجاوز العشر مؤلفات تتمثل في دواوينه وأهمها: ديوان ترجمان الأشواق والديوان الأصغر، بالإضافةإلى قصائد أخرى مفردة[7].

**مذهبه الصّوفي:**

كان ابن عربي ظاهري المذهب في العبادات باطني النّظر في الاعتقادات حسب قول المقرّي ويرى الدكتور عفيفي:"أن الباحث في المذهب الفلسفي التصّوفي للشّيخ محي

---

[1] ابن خطيب، **المصدر السابق**، ص259.

[2] ابن عربي، **المصدر السابق**، ص ص 98-123.

[3] المقري، **المصدر السابق**، ج2، ص163.

[4] **قرية الصالحية**: تقع بالقرب من جبل قاسيون من غوطة دمشق، جماعة من الصالحين حيث توجد بها قبورهم، انظر، الحميدي، **المصدر السابق**،ج3، ص442.

[5] محمد علم الدين الشقيري، **المرجع السابق**، ص14.

[6] آسين بلاثيوس، **ابن عربي حياته ومذهبه**،تر، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار القلم، الكويت، بيروت، 1979م، ص92.

[7] الشقيري، **المرجع السابق**، ص14.

الـدين بـن عـربي يجـد صـعوبة في إرجاعـه إلى أصـل واحـد أو أصـول معينـة فلسـفية كانـت أو تصـوفية...فقـد أخـذ مـن كـل أصـل بطـرف، ولم يقتصـر علـى مصـدر واحـد، ولم يتبـع أحـدا بعينه".[1]

مـا يفهـم مـن هـذا القـول أن ابـن عـربي أتـى بمـذهب جديـد مـزج فيـه بـين نظريـة الفلسـفة وأفكارهـا ومواجيـد وأذواق التصـوف حيـث أخـذ مـن الفلاسـفة والمتصـوفة الـذّين سـبقوه، كرسائل إخوان الصّفا والحلّاج...الخ.

الفكـرة الرئيسـية الـتي قـام عليهـا مـذهب ابـن عـربي وفكـره هـي وحـدة الوجـود الـتي يعـد ابـن عـربي أول مـن طلـع بهـا علـى العـالم الإسـلامي[2]، فقـد ذهـب إلى أن الوجـود كلـه واحـد وأنّ وجـود المخلوقـات هـي عـين وجـود الخـالق، لا فـرق بينهمـا مـن حيـث الحقيقـة.[3] فـالوجود بأسـره واحـد مهمـا تعـددت الموجـودات الخارجيـة أو مـا تقـرره العقـول مـن ثنائيـة الله والعـالم، فـالوجود كما يراه واحد مهما تعددت الموجودات[4].

يضـاف إلى ذلـك اسـتلهامه لـبعض الأفكـار الشّـيعية كالمهديـة الـتي تعـرّض لهـا ورتبهـا وألّـف فيهـا كتابـا هـو ( عنقـاء المغـرب)، كمـا تضـمّن كتابـه( الفتوحـات المكيّـة) كثـيرا مـن آراء الشّـيعة علـى صـورة صـوفية، وذلـك أنـه جعـل الأوليـاء خلقـا نورانيـا منفلقـين عـن أنـوار محمـد صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أنّه كان مطلّعا بعمق على مذاهب الشيعة[5].

بهـذا يكـون ابـن عـربي نتـاج صـوفي أندلسـي ذو تـأثيرات مشـرقية الحلقـة المكملـة لمسـار التصـوف الأندلسـي الـذي ابتـدأه ابـن مسـرة، فـابن العريـف ومدرسـة المريـة إلى ابـن قسـي وسـيأتي بعـده متصـوفة أندلسـيين في العهـد الموحـدي كـابن المـرأة والشُّشـتري وابـن سـبعين الـذين بلغ التصوف على عهدهم أوج ازدهاره خاصة التصوف الفلسفي.

---

[1] عفيفي، **المرجع السابق**، ص3.

[2] الشيبي، **المرجع السابق** ،ص377.

[3] طلعت غنام، **أضواء على التصوف**، عالم الكتب، القاهرة، 1976م، ص206.

[4] آسين بلاثيوس، **المرجع السابق**، ص252.

[5] **نفسه**، ص 259.

# المبحث الثاني :

# علاقة المرابطين والموحدين بالمتصوفة

# وأسلوب التعامل معهم.

- المطلب الأول: علاقة المرابطين بالمتصوفة وأسلوب التعامل معهم.
- المطلب الثاني: علاقة الموحدين بالمتصوفة وأسلوب التعامل معهم.

# المطلب الأول:

# علاقة المرابطين بالمتصوفة

# وأسلوب التعامل معهم.

- السلطة الحاكمة.
- الفقهاء.
- أساليب السلطة المرابطية في مواجهة المتصوفة.
- المراقبة والمتابعة.
- اتهام النّص الصوفي بالتّأويل والخروج عن السّنة.
- الملاحقة والإبعاد.
- السّجن والتعذيب.
- الاغتيال.

**السلطة الحاكمة :**

إنّ الدولة المرابطية السنية ، قامت على أكتاف الفقهاء المالكية ، وقد كان من بين أهدافها محاصرة بقايا التأثير الشّيعي الفاطمي في الغرب الإسلامي .

وإذا كان هذا التأثير لم يعد يشكل خطرا كبيرا ، فإن الخطر تمثل في تيار آخر هو تيار من تيارات التصوف [1].

إنّ التصوف لم يكن تيارا واحدا ، فقد كان هناك متصوفة عامة لا يقرؤون ولا يكتبون[2]، وكان هناك فقهاء يجمعون بين الفقه والتصوف[3]، وإن كان بعضهم درس الفقه لكنه يرفض أن تستثمر هذه المعرفة بالفقه في تولي الخطط والمراتب. [4]

وأخيرا كان هناك المتصوفة المتمكنّون في علوم القوم. [5]

أما عن موقف السلطة المرابطية من المتصوفة ، فإن المتتبع لتراجم بعض الأمراء المرابطين ، يمكن أن يلمس أن علاقة المرابطين بالمتصوفة في البداية كانت علاقة حسنة، بل إن بعض المصادر تجعل هؤلاء الأمراء قريبين من تيار التصوف .فالمراكشي يقول عن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين وهو يمثل أعلى سلطة في الدولة المرابطية :" ...كان إلى أن يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين .[6]"

---

[1] مصطفى بنسباع ، **السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين** ، تق،د/ احمد بنعبود ، ط1،مطابع الشويخ ، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، 1999 ، تطوان ، المغرب ، 106 .

[2] أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ابن الزيات) ، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** ، تح، أحمد التوفيق ، ط2،مطبعة النجاح الجديدة ، منشورات كلية الآداب ،1997 ، ص ص213، 222.

[3] كابن العريف وعبد الجليل بن يحلان وابن حرزهم ، ابن الزيات ، **نفسه** ، ص ص146، 169 .

[4] **نفسه** ، ص ص92،93 .

[5] كابن برجان، وأبي الحسن علي القرشي ... ، ابن الزيات ، **نفسه** ، ص 228 .

[6] عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، شر، د/ صلاح الدين الهواري ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 ، ص 252 .

إشارة منه إلى ميله إلى تيار التصوف والزهد ، ومصادر أخرى تنسب بعض الأمراء صراحة إلى تيّار التصوف ، كابن عذاري الذي يقول عن الأمير تاشفين بن علي : " كان يسلك طريق ناموس الشريعة ويميل إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين " [1].

ورغم انشغال تاشفين بحرب الموحدين خلال الحملة الطويلة التي بدأت بينه وبين عبد المؤمن 535هـ، 539هـ/1140م، 1144 م ،إلا أنه كان يهتم بزيارة بعض المتصوفة ، وكأنّه يريد التبرك بهم وكسبهم إلى صفه أو على الأقل يلتزمون الحياد في صراعه مع الموحدين [2].

كما نلمس تقرب بعض الأمراء من المتصوفة ، فهذا الأمير مُزدلي بن تلكان حاكم تلمسان جاء ذات يوم الشيخ عبد السلام التونسي وهو يعمل في أرضه ، فقال له عبد السلام : ما تطلب عندي وأنا فقير وأنت أمير ؟ ، فقال له : جئت لأتبرك بك وآكل من طعامك [3].

كما أن المتصوفة عملوا على استقطاب أمراء مرابطين إلى تيار التصوف ، كما حدث مع أبي إسحاق باران المسوفي الذي يقول عنه ابن الزيات : كان من الزعماء ولحق بأهل الطريق على يد أحد مشايخ الصوفية [4] ، ونفس الشيء حدث مع أبي زكرياء بن يوغان الصنهاجي الذي كان من أمراء صنهاجة ، وانخرط في تيار التصوف [5].

ثم إن بعض المتصوفة تعامل مع المرابطين وحاول أن يأخذهم بسلوك مبادئ الصوفية ، أبي الحسن علي بن حرزهم الذي استدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ عنه ... فلازمه وأخذه بسلوك طريق الآخرة وأمره بالورع وضيق عليه في المكسب [6].

---

[1] ابن عذاري ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)** ،تح، الكتاني زنيبر ، ط1 ،ج4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985، ص79.

[2] ابن الزيات ، **المصدر السابق** ، ص 138.

[3] **نفسه** ، ص 110 .

[4] **نفسه** ، ص 254.

[5] **نفسه** ،ص ص255- 256.

[6] **نفسه** ، ص 169.

إلى جانب هذا الوجه الودّي من علاقة المتصوفة بالمرابطين نجد وجها آخر عدائي، اتسم بالمراقة والمتابعة والاتهام بالابتعاد عن السنة والملاحقة والإبعاد ...

لكن ما هو الحدث الذي أدّى إلى موقف السلطة هذا ؟

وما الذي طرأ حتى تنقلب السّلطة المرابطية على المتصوفة ؟

وما السّر في تحول علاقة السلطة المرابطية من ودية إلى عدائية تجاه المتصوفة والمريدين ؟

هل كان لحادث اغتيال القاضي أبي عبد الله محمد بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة علاقة بما حدث للمريدين ؟

وهل كان المقصود بالاغتيال قاضي الجماعة بحد ذاته أم كان المقصود الأمير تاشفين بن علي ؟...

ازداد اللغط والكلام حول المريدين ، وارتفعت الأصوات تحذر السلطان منهم ، يقول ابن الخطيب : "وكثر جمعهم ووقع الحديث بهم ، وحذروا صاحب الدولة فتفرقوا "[1].

لعل هذا التحول بدأ مع حادث إحراق كتاب الإحياء [*] ، وردّ فعل بعض المتصوفة بخصوص هذه القضية. [2]

كما يتضح أن سلوك المتصوفة تجاه المرابطين كان يستلهم من آراء الغزالي ، في كتابه إحياء علوم الدين ، خاصة ما يتعلق بقبول أعطيات الحكام ومخالطتهم ، وكأنهم يطبقون كل ما ورد في كتاب الحلال والحرام من الإحياء. [3]

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان الدين ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح، سيد كسروي حسن ،ط1 ،ج1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 147 .

[*] كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي .

[2] ابن الزيات ،**المصدر السابق** ، ص 145 .

[3] بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 109.

فقد ذكرت المصادر روايات عن متصوفة أعطاهم المرابطون مالاً ، منهم من ردّه عليهم ومنهم من تصدّق به، [1] ومنهم من كان يعتبر كلّ مال المرابطين خبيثاً [2].

كما أن بعض المتصوفة كانوا يرفضون مقابلة المرابطين ، حتى إن أحدهم اضطر إلى مقابلة الأمير علي بن يوسف ،وعندما كان يحتضر ، قال لأخص أصحابه : "كانت لي أحوال فقدتها يوم اجتماعي بالسّلطان وحديثي معه فإيّاك ولقاء الناس "[3].

هذا عن علاقة المرابطين (السلطة الحاكمة) بالمتصوفة، أما عن الطبقة الاجتماعية ونخص بالذكر الفقهاء فنجد:

**موقف الفقهاء :**

فقد تراوح موقف الفقهاء من المتصوفة ، بين الإنكار لكراماتهم كعلاج المريضات من النّساء بلمسهن [4]، وواضح هنا أن موقف الفقهاء هذا ينطلق من الحرص على تطبيق أحكام الشريعة ، أو كالقول بالمشي على الماء وركوب الهواء وقلب الطبائع وعدم التقيد بالسّنن ونواميس الكون .

و الخلاف هنا بين الفقهاء و المتصوفة في جانب منه هو خلاف معرفي ، حيث أن قول الصوفية بهذه المسائل ، ينطلق من موقف معرفي يعتمد الكشف و الإشراق ، بينما كان الفقهاء أكثر عقلانية ، و في جانب آخر كان الخلاف سياسيا ، حيث كان المتصوفة يوظفون هذه الكرامات كجزء من استراتيجية الدعوة التي تعتمد على الإيهام بامتلاك الأسرار لاستقطاب الأتباع في مجتمع نسبة عالية من أفراده غير متعلمين [5].

---

[1] ابن الزيات ، **المصدر السابق** ،ص ص106، 145 ، 146 .

[2] **نفسه** ، ص 111 .

[3] **نفسه** ، ص ، 152 .

[4] **نفسه** ، ص ص215 ، 293 ، 323 ، 421 .

[5] مصطفى بنسباع ،**المصدر السابق** ، ص ، 107

لقد كانت للمتصوفة مكانة كبيرة في نفوس العامة ، فهذا المتصوف عبد الجليل بن وايحلان . كان إذا صلّى الجمعة انصرف إلى بيته ،فلم يكن يصله إلا في وقت العصر ، من كثرة ما يحبسه النّاس للدّعاء والتمّسح به [1].وقد كان الفقهاء يخشون هذه العلاقة بين المتصوفة وعامة النّاس ، حتى إن أحد الفقهاء رأى اجتماع الناس على هذا الصوفي بدعة وسعى به عند القاضي [2].

لكن موقف الفقهاء كان أكثر تشدّدا مع المتصوفة المتمّكنين من التصوّف ، أو على الأصح الذين أُشربوا الباطنية ، خاصة فيما يتعلق بتأويل القرآن ، إذ لا يخفى التوّظيف السياسي لتأويل القرآن عند كل من الشّيعة والمتصوفة [3].

فهذا ابن برجان كان له تفسير القرآن العظيم وأكثر كلامه فيه عن طريق أرباب الأحوال والمقامات [4].

ولعل منحاه الباطني في تأويل القرآن هو ما جعل فقهاء المالكية يتكلمون فيه ويعيبون عليه أشياء ، ولما أشخص أبو الحكم ابن برجان من قرطبة إلى حضرة مراكش ، سئل عن مسائل عيبت عليه ، فأخرجها على ما حملته من التأويل ، فانفصل عما ألزمه من النقد [5].

كذلك الحال مع ابن العريف ، فقد قيل إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذهبه ، فسعوا به إلى السلطان وحذروه من جانبه [6]. ولعل مذهبه الذي أنكر عليه هو اتجاهه

---

[1] ابن الزيات، **المصدر السابق** ، ص 147 .

[2] **نفسه** ، ص ، 147

[3] مصطفى بنسباع ، **المصدر السابق** ، ص 108 .

[4] شمس الدين أبو العباس أحمد ابن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تح، إحسان عباس ،ب ط ،ج 4 ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ص ص236 ، 237 .

[5] ابن الآبار ، **الحلة السيراء**، تح، د/ حسين مؤنس ، ط 2 ، ج 2 ،دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ص،19.

[6] ابن الزيات ، **المصدر السابق** ، ص 170 .

***إشبيلية** :مدينة بالأندلس جليلة ، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ، ومن الأميال ثمانون ، وهي مدينة أزلية قديمة يذكر أهل العلم اللاّتيني أنّ أصل تسميتها أشيليم ، معناه المدينة المنبسطة .انظر محمد بن عبد المنعم الحميري ،**الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح، إحسان عباس ، ط1 ،مكتبة لبنان ، 1975 ، ص 58 .

الصوفي ، خاصة علاقته بابن برجان الذي قيل إنه كان إمام الصوفية بإشبيلية [*] ، وكان يحضر نفسه للقيام على المرابطين .

قصارى القول إن التفاف عامة الناس حول المتصوفة كان يزيد من توجّس الفقهاء منهم ويسعون بهم لدى السلطات المرابطية .

لقد اتبّعت السّلطة المرابطية أساليب عدة لعزل المتصوفة عن عامة النّاس فاتبّعت أسلوب المراقبة والمتابعة ومنه الاتهام بالتأويل والخروج عن السنة ، ثم الملاحقة والإبعاد ، فالسجن والتعذيب فالاغتيال .

وهي أساليب قد عانى المتصوفة وأتباعهم من ويلاتها. وكانت سببا في تمردهم وإعلانهم الثورة على السلطة المرابطية وحكّامها .

**أ – المراقبة و المتابعة :**

اتّبعت السّلطة المرابطية سياسة المراقبة الصارمة لكل من اشتبه في أمره من المتصوفة، باعتبارهم يشكلون معارضة صريحة أو ضمنية لها ، خاصة بعد إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، فصارت تلتقط أنفاسهم ، وتمنع إرسال الرسائل والخطابات المتبادلة بينهم (انظر ملحق رقم 01)، كما كانت تستدعيهم للاختبار والتحقيق معهم [1]. وحسبنا أن الرسائل المتبادلة بين المتصوف ابن العريف ومريديه كانت من الكثرة ما جعل السلطة المرابطية تتوجس منها خيفة ، فتلجأ إلى التضييق على هذه المراسلات ، حتى أن ابن العريف شكا في إحدى رسائله الموجهة لأحد مريديه انقطاع الأخبار عنه بقوله : " ... واجعل منها معنى كتابي السالف الذي لم يكن عليه جواب ، وكنت في عام 529هـ لم يصل إلينا في وجهة المشرق مخبور يأنس ولا مخبور بطيبة نفس ... [2]"، وهو نص يعكس

---

[1] د/ ابراهيم القادري بوتشيش ، **مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين** ، ط 2 ، مطبعة سجلماسة ، مكناس ، المغرب ، 2014 ، ص 70 .

[2] أبو العباس ابن العريف، **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة** ، تح، د/ عصمت عبد اللطيف دندش ، ط 1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1993 ص ص60 ، 61 .

دور السلطة المرابطية في مراقبة الاتصالات والمراسلات التي كانت تجري بين المتصوفة ، ومحاولة التعتيم على أنشطتهم ، والرّاجح أنّ عدم تمكن السّلطة المرابطية من لجم حركة التواصل بين المتصوفة بواسطة الرّسائل والخطابات المتبادلة بينهم جعلتها تلجأ إلى أسلوب التّحقيق مع زعمائهم ، فالمصادر تجمع على استدعاء الأمير علي بن يوسف لابن العريف إلى مراكش بضغط من قاضي ألمرية * ابن الأسود الذي بالغ في تهويل خطره بعد أن : " بَعُدَ صيته في الزهادة والعبادة وكثر أتباعه على طريقته الصوفية [1].

فأُرسل مقيّدا إلى العاصمة المرابطية ليتم التحقيق معه ، ويبدو أن مكانة ابن العريف وأمثاله كانت كبيرة عند عامة النّاس ، لذلك لم يكن في مقدور علي بن يوسف أن يذهب معهم إلى أبعد من جعلهم تحت مراقبته ، لذلك يبدو أنه وضعهم تحت الإقامة الجبرية [2]. لينتهي الأمر بتبرئته من التُّهم الموجهة إليه وهو في سبتة[3] ، نستشّف ذلك من جواب ابن العريف حين عرض عليه علي بن يوسف قضاء حوائجه فقال له : "ليس لي حاجة إلاّ أن أُخَلَى أذهب حيث شئت" [4].فأذن له في ذلك [5]. ومهما يكن فإنّ ابن العريف قضى آخر أيّامه في مراكش .

لم يكن ابن العريف وحده الذي شملته حملة المراقبة الصوفية بإيعاز من بعض الفقهاء، بل شملت أقطابا آخرين في تيار التصوف كابن برجان والميورقي [6].

---

* **ألمرية**: تقع بين مرسية وجيان ، وهي على ساحل البحر ، مرسى الأندلس تقصدها المراكب من المشرق ، وهي من بناء عبدالرحمان الناصر سنة 344 هـ ، انظر أبو عبد الله محمد الزهري ، **كتاب الجغرافيا**، تح، محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د ت ، ص 101 .

[1] ابن الآبار ،**المصدر السابق** ، ص 19.

[2] مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص110 .

[3] ابن بشكوال ، **كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تص، السيد عزت العطار الحسيني ، ج 2 ، مطبعة بغداد ، القاهرة ، 1955 ، ص 83.

[4] ابن الزيات ،**المصدر السابق** ،ص،120.

[5] **نفسه** ، ص 120.

[6] **نفسه** ، ص 170 .

وعلى كل فإن كلا من ابن العريف وابن برجان بَقيا في مراكش إلى أن توفيا معاً بها، وكان زمن وفاتهما متقاربا ودفنا في قبرين متلاصقين [1].وقد رافق هذه الحملة ( المراقبة والمتابعة ) إصدار منشورات من ديوان الإنشاء المرابطي، في موضوع التّشديد على الالتزام بمذهب الإمام مالك ونبذ كتب البدعة ، مما يمكن أن نُعدّه استمرارا للصراع بين المالكية السّنية والتيّار الباطني في التصوف[2] .

لقد وصلتنا رسالة بعثها تاشفين بن علي إلى حاكم وقاضي فقهاء بلنسية * سنة 538هـ /1143 م ،لعلّ أهم ما ورد فيها بخصوص هذا الموضوع ما يلي : "... واعلموا رحمكم الله ، أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشّورى في الحضر والبدو ، على ما اتفق عليه السّلف الصّالح رحمهم الله ، من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه ، فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه ...، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة ، وخاصّة وفّقكم الله ، كُتب أبي حامد الغزالي فليتتبّع أثرها بالحرق المتتابع خبرها . ويبحث عليها ، وتغلظ الأيمان على من يتّهم بكتمانها .[3]"

ولعلّ اعتقال ونفي زعماء المتصوفة ، ومحاولة عزل المتصوفة عن عامة الناس هذه ، قد أرغمت بعضهم ممن لم تشملهم هذه الحملة على عقد حلقاتهم الدراسية وممارسة نشاطهم في سرية [4]، فقد جاء عن الشيخ عبد الجليل بن ويحلان المتوفي سنة 541 هـ ، أنه كان يدرّس النّاس الفقه ، وكان إذا انصرف عنه حملة الفقه يقول لخاصّة أصحابه : " تعالوا

---

[1] ابن خلكان ، **المصدر السابق** ، ج4 ، ص 237.

[2] مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 111.

***بلنسية** : تقع شرق الأندلس ، جمعت بين البر والبحر والزرع ، كما لها السهل والجبل ، وهذا ما أهّلها لتكون أطيب البلاد وأحسنها هواء ، وأجملها بساتين ، وهي مع كل هذا مدينة منيعة .انظر الحموي ، **المصدر السابق** ،ص 307 .

[3] د/ حسين مؤنس، **سبعة وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**، ط2 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 2000 ، ص22 .

[4] مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 111 .

نأخذ في نور العلم فيأخذ معهم في علوم الآخرة وأسرار التصوف "[1]. كما أنّ هذه الوضعية جعلت المتصوفة الأكثر انخراطا في العمل السياسي يعملون في سرية ، ويترقّبون الفرصة المواتية للبروز على السّاحة السياسية بشكل عنيف وبالسّيف هذه المرة [2].

**ب- اتهام النّص الصّوفي بالتّأويل والخروج عن السّنة :**

سعت السّلطات المرابطية لإيجاد مبرّر شرعي يطلق يدها في البطش بكل من اشتبه في أمره من المتصوفة ، لذلك سعت إلى وضعهم خارج سياج الشّرع ، عن طريق اتهامهم بتأويل النصوص القرآنية والخروج عن السّنة [3]. كالتّهمة التي كيلت للمتصوف ابن برجان الذي : "سُئل عن مسائل عيبت عليه ، فأخرجها على ما تحمله من التأويل ، فانفصل عما ألزمه من النقد ..."[4]، وهو نص يعكس أنّ مجرد التأويل كان يُشكّل مطية تركب عليها السلطة المرابطية لإثبات صحة الاتهام ، لولا أن ابن برجان تمكن بذكائه من دفع التهمة عنه بتوضيح ما كان غامضاً من تأويلاته.

في نفس المنحى حاول فقهاء المرابطين ضرب الاتجاه الصوفي بتوجيه التّهمة إلى كتاب الإحياء نفسه ، بأنه يحتوي على مسائل منافية للسّنة ، واقتنعت السّلطة المرابطة بصحة هذا الادّعاء ، فأمرت بإحراق الكتاب في كل من قرطبة ومراكش ، وتشددت في متابعة كل من يقرأه أو يقوم بنسخه على اعتبار أنه يساهم في ترويج الفكر الصوفي ، لذلك لا غرابة أن يقوم المريدون بنسخه سراً . يقول المراكشي : "... ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي – رحمه الله – المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها ، وتقدم بالوعيد الشديد

---

[1] ابن الزيات، **المصدر السابق** ، ص 147 .

[2] بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 112 .

[3] بوتشيش ، **المرجع السابق** ، ص 71 .

[4] ابن الزبير ، **صلة الصلة** ، تح، ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، 1938 ، ص ص ، 32 ، 33 .

من سفك الدم واستئصال المال ، إلى حد من وجد عنده شيء منها واشتد الأمر في ذلك [1]."

وكان تاريخ صدور القرار بالحرق سنة 503 هـ / 1109 م ، من طرف أمير المسلمين علي بن يوسف أمير المرابطين ، بطلب من فقهاء المالكية ، لا سيما القاضي ابن حمدين الذي وصل إلى حدّ المطالبة بنبذ كلّ من تُسَوّل له نفسه قراءة هذا الكتاب [2] (انظر الملحق رقم 02).

وهناك خلاف بين الباحثين في السّبب الحقيقي لإحراق كتاب الإحياء ، فعبد الله العروي يرى أنّ الكتاب يحتوي الطّعن في الفقهاء ومناهجهم وتكالبهم على الدّنيا ، ورأي آخر يرى أنّ الفقهاء لهم عقيدة سلفية وكذلك حُكّام المرابطين ، وحرقهم لكتب الغزالي لميله للعقيدة الأشعرية ، والرّأي الثّالث يرى أنّ كتاب الإحياء يحمل آراءًا صوفية كشفية لا تتوافق مع النّزعة العلمية أو التوجه الذّي يدعو إلى الجهاد في الدّولة المرابطية[3].

أمّا حسن إبراهيم حسن فيرى أنّ الحرق جاء لسببين:

**الأوّل**: أنّ الاتجاه الفلسفي في هذا الكتاب يسير على مذهب الإمام الشافعي.

**والثّاني**: أنّ الكتاب صوفي الرّوحية يسير على الفلسفة الكلامية التي كان يحرمها المالكية ويخشون منها على مذهبهم لذلك أفتوا بإحراقه[4].

ولعل أهم عوامل الإحراق ، ما حواه الكتاب من حملة لاذعة على علماء الفروع والتنويه بجهلهم وسخف مجادلاتهم السّطحية ، ووصف الغزالي لهم بأنّهم مجانين وكونهم يجهلون علم الأصول الذي ينوه الغزالي بأهميّته وعظم قدره [1].

---

[1] مجهول ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،ط1 ،دار الرشاد الحديثة ، المغرب ،1989 ، ص 104 .

[2] **نفسه**، ص 104 .

[3] LAROUI Abdellah. L' histoire du maghreb.essaide synthese. Maspew. Paris. 1976. pp.115-160.

[4] حسن إبراهيم حسن ،**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج4 ، د ت، القاهرة ، 1967، ص 456 .

لم يحظ أمر الإحراق بموافقة كل العلماء ، وقد بلغ أنّ أحدهم - وهو علي بن محمد بن عبد الله الجذامي المعروف بالبرجي قارئ القرآن بألمرية- من الشجاعة أن عبر عن عدم الموافقة كتابيا في شكل فتوى : وهو الذي أوجب في كتب أبي حامد الغزالي حين أحرقها أبو عبد الله بن حمدين بأمر تاشفين ، تأديب محرقها وتضمينها قيمتها لأنها مال مسلم ، وقيل له : أتكتب بما قلته خط يدك ؟ قال : سبحان الله ، {وَكَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ[2]} ، ثم كتب السؤال في النازلة* وكتب فتياه بعقبه [3].

لم يكن ابن البرجي وحده ممن اعترض على أمر الإحراق ، وإنما هناك جملة من العلماء الذين أضافوا توقيعاتهم إلى توقيعه كابن الفصيح وأبي القاسم ابن الورد*[4]. كما عارض ابن العريف إحراق كتاب الإحياء بكتابه : "محاسن المجالس" فهو يعرض مذهب التصوف ويصف أحوال الصوفية ومقاماتهم بحسب تعاليم الإمام الشرقي أبي حامد الغزالي [5].

---

[1]الهرفي سلامة محمد سلمان ، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف (دراسة سياسية وحضارية)** ، د د ن ، بيروت ، 1985 ، ص 326 .

[2]**سورة الصف** ، الآية : 03 .

***النازلة** : هي المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس ، وأصلها من الفعل نزل بمعنى هبط ووقع.

[3]ابن الآبار ، **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي** ،نشر، فرانسيسكو كوديرا وزايدين ، ب ط ، ددن ، مدريد ، 1985 ، ص 287 .

***ابن الورد** :أحمد بن عمر بن يوسف ، من لأهل ألمرية يكنّى أبا القاسم ، من جلى الفقهاء المحدثين ، انتهت إليه الرئاسة في المالكية ، وإلى القاضي أبي بكر ابن العربي، ولي قضاء غرناطة سنة 520هـ ، توفي بألمرية سنة 540 هـ. انظر ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،تح، محمد عبد الله عنان ،ط1،ج1،مكتبة الخانجي، القاهرة،1977، ص ،ص ، 169 ، 171 .

[4]ابن بشكوال،**المصدر السابق** ، ص 587 .

[5]ألفرد بال ،**المرجع السابق**.ص380 .

ولا شـكّ أن لهـذه الإدانـة الجماعيـة دلالتهـا وأهميتهـا ، فبإمكاننـا أن نتحـدّث عـن وجـود مراكـز مقاومـة صـوفية معاديـة للمـرابطين ، ومـن المؤكـد أن هـذه الاحتجاجـات قامـت في مختلف أوساط الصّوفية في المغرب والأندلس .[1]

**ج- الملاحقة والإبعاد :**

لم تكتـف المؤسسـة الحاكمـة بـالتتّبع والمراقبـة ، بـل لجـأت إلى منـع بعـض المتصـوفة مـن التـدريس ، تحسـبا لأي تـرويج لأفكـارهم ، ولا غـرو فقـد منـع المتصـوف أبـو الفضـل بـن النحـوي مـن إلقـاء دروسـه في أحـد مسـاجد سجلماسـة*[2] ، بـل إنـه تعـرض بعـد ذلـك للملاحقـة ، فاضـطر إلى الاختفـاء في جنـة كانـت في ملكـه ، وبقـي مختفيـا بهـا ، إلى أن أشـرف على الموت من شدّة الجوع [3].

**د- السجن والتعذيب :**

لم يقتصـر اضـطهاد السـلطة المرابطيـة للمتصـوفة علـى الملاحقـة والإبعـاد بـل ذهبـت إلى الـزّج بهـم في السّـجون وتعريضـهم للضّـرب والتّعـذيب [4]. ومـن أبـرز المتصـوفة الـذين امتحنـوا بالسـجن ابـن برجـان وذلـك بسـبب أفكـاره التصـوفية وتأويلاتـه للنّصـوص القرآنيـة ، حـتى إنـه لقـي حتفـه نتيجـة هـذا الأمـر ، وشملـت عمليـات الاعتقـال كـذلك المتصـوف الـذي عـرف في المصـادر التاريخيـة باسـم الميـورقي ، ويـورد ابـن الآبـار خـبر اعتقالـه بقولـه : " ... وامـتحن بـالقبض عليـه مـع أبي الحكـم ابـن برجـان وأبي العبـاس ابـن العريـف ، وتخلّـص دونهمـا ، فقصـد

---

[1] د/ عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، «**مدرسة ألمرية الصوفية بين الواقع والخيال 503هـ، 546هـ / 1109م، 1151م**»، مجلة سر من رأى ،العدد 10، ج 04 ،السنة الرابعة ،كلية التربية للبنات ، جامعة تكريت ، العراق ، ماي أيار ، 2008م، ص 150 .

[2] ابن مريم التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح، محمد بن أبي شنب ، ب ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908 ، ص 103 .

*سجلماسة :من أعظم مدن المغرب ، وهي على طرف الصّحراء لايعرف من قبليها ولا غربيها عمران .انظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 305

[3] ابن الزيات ،**المصدر السابق** ،ص 154 .

[4] ابراهيم القادري بوتشيش ، **المرجع السابق** ، ص 73 .

المشرق ثانية وأقام بمدينة بجاية برهة في هربه من المغرب [1]." ممّا ينهض دليلا أنّ الاعتقالات لم تكن فردية أو متعلقة بشخص بعينه ، بقدر ما كانت موجهة ضدّ تيار اعتبر آنذاك من أخطر التيارات المناوئة للسّلطة [2]. وبالمثل سجلت لنا المصادر لائحة من المتصوفة الذين ألقي بهم في غياهب السجون ، نذكر من بينهم : محمد بن أحمد نمارة الحجري* ومحمد بن خلف اللّخمي[3] . ومن غير المستبعد أن يكون هؤلاء السجناء قد تعرضوا أثناء فترة اعتقالهم لشتى أنواع التنكيل والتعذيب [4].

فقد ورد في إحدى رسائل ابن العريف من أن رجال الأمن المنخرطين فيما كان يعرف بخطة الشرطة ، أمعنوا في تعذيب امرأة لإجبارها على الإخبار عن أسماء بعض المتصوفة ، فلما يئسوا من الحصول بواسطتها على معلومات فقأوا عينها دون رحمة [5].

كما يخبرنا ابن الزيات ،[6]عما تعرض له متصوف آخر من أصناف الضّرب والتّنكيل ، لذلك حاول زعماء التنظيمات الصّوفية من رفع معنويات مريديهم الذّين زُّج بهم في السجن ، ومن هذا القبيل رسالة وجهها ابن العريف لأحد مريديه يهون فيها عليه من

---

[1]ابن الآبار،**المصدر السابق** ، ص 139 .

[2] بوتشيش ، **المرجع السابق** ، ص 74 .

***محمد بن أحمد نمارة الحجري** : بفتح الجيم من ذرية أوس بن حجر التميمي شاعرها في الجاهلية ، بلنسي ، نقله أبوه سنة 487هـ من بلنسية لتغلب الروم عليها تلك السنة ،وهو صغير إلى ألمرية فنشأ بها ، كان من أهل الإتقان في تجويد القرآن ، مع تمام العناية بشأن الرواية وحفظ المسائل والإشراف على الخلاف ، ولد يوم عاشوراء سنة 484هـ وتوفي في شعبان سنة 563هـ .

[3]أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ، تح، د/ إحسان عباس وآخرون ،ط1 ، ج04 ، سفر 06 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2012 . ص 17 .

[4]إبراهيم القادري بوتشيش، **المرجع السابق** ، ص 74 .

[5]أبو العباس ابن العريف ، **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**،تح، د/ عصمت عبد اللطيف دندش ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1993 .ص 50 .

[6]ابن الزيات ، **المصدر السابق** ، ص 232.

عـذاب السـجن وأهوالـه مـن خـلال الإحالـة علـى بعـض المرجعيـات الدينيـة ، خاصـة بعـض الانبياء الذين تعرضوا للسّجن ، فضلا عن سرد بعض أقوال الحكماء [1].

**هـ- اغتيال المتصوفة :**

وصـل حـدّ المواجهـة بـين المـرابطين والمتصـوفة إلى حـد الاغتيـال ، وإن كـان الفقهـاء يتحملـون وزر هـذه المواجهـة الـتي بلغـت هـذا الحـد الخطـير ، فـإذا كانـت العوامـل المذهبيـة تظهـر كعامـل أساسـي في الصـراع بـين بعـض الفقهـاء والمتصـوفة ، حيـث اخـتص الفقهـاء بالإفتـاء والأحكـام العامـة في العبـادات والمعـاملات في تميـز المتصـوفة بالمجاهـدة ومحاسـبة الـنفس و الكـلام في الأذواق [2]. فـإن ذلـك لم يكـن سـوى غطـاء للصـراع الاجتمـاعي بـين تيـار ثـري وآخـر يـدعو إلى الزهـد والتقشـف[3]، لـذلك تفننـوا في تأليـب السـلطة المرابطيـة علـيهم ، وتـدبير أسباب اغتيالهم .

فجُـلّ المصـادر تجمـع علـى حسـد القاضـي ابـن الأسـود لابـن العريـف وتـدبير أمـر اغتيالـه [4]. ورغـم تبرئتـه ممـا نسـب إليـه ، فقـد استأسـد القاضـي المـذكور في نسـج مـؤامرة اغتيالـه ، ونجـح فيهـا حيـث قتـل ابـن العريـف في مـراكش أو سـبتة* حسـب اخـتلاف الرّوايـات [5]. كمـا تم اغتيـال ابـن برجـان بعـد اعتقالـه في مـراكش نتيجـة آرائـه التصـوفية ، لا بـل أمـر الأمـير علـي ابـن يوسف أن تلقى جثّته على المزبلة ، ومنع أن تقام عليه صلاة الجنازة .

---

[1] بوتشيش ، **المرجع السابق** ، ص 75 .

[2] ابن خلدون ، **المقدمة** ،تح، عبد الواحد وافي ، مطبعة لجنة البيان العربي ،ج 3 ، ب ط ، دب ن ، دت ن، ص 1065 .

[3] بوتشيش ، **المرجع السابق** ، 75 .

[4] ابن الزيات ،**المصدر السابق** ، ص 119 .

*__سبتة__ : مدينة عظيمة على الخليج الرّومي المعروف بالزّقاق ،وهي تقابل الجزيرة الخضراء والبحر يحيط بها شرقا وغربا وقبلة . انظر الحميري ، المصدر السابق ،ص 303 .

[5] ابن بشكوال ، **المصدر السابق** ، ج1،ص 83 .

ولم ينج المتصوف عبد الله الدقاق من موت محقق مع جماعة من مريديه من مدينة سجلماسة،إلاّ بعد تدخل أحد أشياخ قبيلة فاس ، الذي تشّفع له لدى الأمير المرابطي[1] . ويبدو أنّ وصول منحى التوتر بين السلطة المرابطية وأقطاب التصوف إلى هذا الحد من القتل والاغتيال يعكس الخطورة التي أصبح يشكلها الفكر الصوفي عليها ، مما جعل سلاح الاغتيال إحدى الأساليب التي نهجتها السلطة المرابطية للحد من تسرب الفكر الصوفي[2].

بيد أن الأمور كانت قد استفحلت وكان التنظيم الصوفي خاصة الباطني منه قد بلغ مرحلة من النضج ، ممّا هيأ المناخ لقيام ثورات صوفية كثورة ابن قسي التي قضّت مضجع المرابطين .

والخلاصة أن علاقة السلطة المرابطية بالمتصوفة ، كانت في أغلبها علاقة تنافر وتباعد ومواجهة ، وسلكت المؤسسة الحاكمة في مواجهة التيار الصوفي مجموعة من الأساليب التي تراوحت بين المراقبة والمتابعة وإلصاق تهم الخروج عن السنة ، والملاحقة والإبعاد والاعتقال والسجن والاغتيال . وكلها أساليب تفصح عن مدى خطورة المتصوفة كتيار فكري فرض نفسه في المجتمع المغربي والأندلسي في العصر الوسيط . بيد أنها عجزت عن قطع دابر المتصوفة فاضطرت إلى نهج أسلوب جديد معهم يتجلّى في أسلوب الاحتواء والمهادنة لكن وضعيتها آنذاك كانت قد بدأت تجنح نحو الانهيار[3].

فهل يمكن اعتبار التيّار الصوفي عاملا من عوامل انهيار الدولة المرابطية ؟

---

[1]أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط ، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**،تح، زهراء النظام ، ط1 ، منشورات كلية الآداب ، مطبعة النجاح الجديدة ، 1997 ، ص 161.

[2]إبراهيم القادري بوتشيش ، **المرجع السابق** ، ص 77 .

[3]إبراهيم القادري بوتشيش، **المرجع السابق**، ص 77 .

# المطلب الثاني:

# علاقة الموحدين بالمتصوفة

# وأسلوب التعامل معهم

## علاقة الموحّدين بالمتصوفة :

لاشكّ أنّ احتكاك الموحدين بالمتصوفة قد بدأ مبكرا ، حتى قبل انتزاعهم مدينة مراكش من أيدي المرابطين ،ولا شكّ أيضا أن الموحدين ناصبوا العداء للمتصوفة باعتبارهم التيّار الذي كان ينافسهم إلى جانب فقهاء المالكية . لذلك لن نتوقع أن تختلف سياسة الموحدين عن سياسة المرابطين اتجاه تيار التصوف .ويبدو أن الموحدين كانوا يتوجّسون خطر المتصوفة في المغرب حتى قبل أن ينقض ابن قسّي تحالفه معهم في الأندلس[1]، وكانوا يخشون التفاف الناس حولهم . وما يدلّ على ذلك أنّ الموحّدين لما كانوا بجبل إجليز * محاصرين مراكش سنة 540هـ / 1145م استدعوا من أغمات * أحد المتصوفة وهو عبد الجليل بن وايحلان ليكون تحت مراقبتهم بإجليز ، ولما اعتذر بكونه مريضا قرّروا نقله بالقوة ، قائلين له : " ولو حملناك على نعش "[2]. ممّا يدّل على عدم ثقة الموحدين في المتصوفة ، حتّى ولو كانوا في حالة صحية لا تسمح بتهديدهم ، وهذا عرض لسياسات خلفاء الموحدين اتجاه المتصوفة .

فهذا عبد المؤمن بن علي قد أولى اهتماما خاصا بفئة المتصوفة خلال فترة حكمه، هذا الاهتمام يمكن أن نلحظه من خلال السّياسة القمعية التي اتبعها اتّجاههم، والتي أبرزت لنا ومنذ البداية الموقف الرّسمي للدّولة الموحدية من هذه الفئة، فقد صادف فترة حكمه وفي السنوات الأولى منها، قيام ثورتين هامتين :واحدة في بلاد الأندلس والثانية في بلاد المغرب، خلال سنتي (539هـ-546هـ) الأولى في الأندلس بزعامة ابن قسّي والثانية في المغرب بزعامة ابن هود ، أي أن عبد المؤمن عاصر مرحلة تحول التصوف إلى حركة ذات طموحات سياسية إلى جانب بعدها

---

[1] مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 129.

[2] ابن الزيات ، **المصدر السابق** ، ص 149 .

الدّيني [1]، وهي في هذه المرحلة تشبه إلى حد كبير حركتهم التي تزعمها المهدي بن تومرت وبالتالي تنافسها.لكن ما يلفت النظر هنا توقيت هذه الثّورات التّي اندلعت في وقت واحد، وكأّن هؤلاء المتصوفة اتّفقوا على هذا التوقيت، خاصة وأن عبد المؤمن في هذه المرحلة كان يحاول جاهدا إرساء دعائم دولته، فبالتالي كان لهذا الأمر تأثيره المباشر على موقف الخليفة من فئة المتصوفة فيما بعد، إذ أضحت الحيطة والصّرامة والحذر من سمات سياسته اتجاههم، فبالرّغم من قضائه على هذه الثورات واستكانة من بقي من أتباعهم، إلا أنّه ظلّ يتوجّس الخطر من جانبهم، ولهذا اتّخذ من المراقبة الرسمية لنشاطاتهم وسيلة لبقائهم تحت أعينه خوفا من تمرّدهم مرة أخرى.قسوة عبد المؤمن وصرامته تجاه فئة المتصوفة نلحظها من خلال طريقة تعامله مع ابن قسّي وأتباعه، ناجمة عن إدراكه الخطر الحقيقي الذّي تشكله هذه الفئة الذي تأكد من نواياها أثناء ثوراته، فقد رأينا كيف أن ابن قسّي ادّعى الإمامة وحاول التّشبه بالمهدي بن تومرت [2*] في مسألة المهدوية ، ورغم صرامته وقسوته التي فرضتها عليه الظروف المحيطة به، إلا أنّ هذا لم يمنعه من الزّهد والورع والانكباب على دراسة العلوم الدينية بمختلف فروعها، فقد كان فقيها عالما بالجدل والأصول، حافظا لحديث رسول الله، مشاركا في علوم كثيرة، دينية ودنيوية، كعلم النّجوم واللّغة والآداب والتّاريخ... [3]

---

[1] فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق**.ص 123 .

*__المهدي بن تومرت__ :أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن تومرت ،ينتسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب(نسبه بنفسه) ، من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم ، ودخل العراق والتقى بالإمام الغزالي والطرطوشي ، ثم عاد إلى المغرب ، مر بالمهدية وبجاية ،ثم ملالة حيث التقى بعبد المؤمن بن علي ، وكان في كل منطقة يحل بها يغير المنكرات ويأمر بالمعروف ، قام بدعوة الموحدين ، (ت 524هـ) وفي هذه السنة وقعت الهزيمة على جيوشه بموقعة البحيرة . انظر ابن خلكان ، **المصدر السابق** ، ج5 ، ص ص 45 ،57 .

[3] ابن أبي دينار محمد ابن أبي القاسم ،**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ،ب ط ، مطبعة النهضة ، تونس ، 1350هـ ، ص 106.

ما يمكن قوله عن فترة حكم عبد المؤمن بالأندلس أن المتصوّفة انقسموا إلى مجموعتين، المجموعة الأولى ابتعدت كل البعد عن التدخل في أمور السياسة والحكم، ورفض أي محاولة للتّعاون معها، أما المجموعة الثانية فهي التي تولت بعض الوظائف في الدولة، كخطة الشورى [1]، وانطلاقا من هنا يمكن التأكيد على أن علاقات الموحدين مع أتباع التصوف خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري قد اتّسمت بطابع التوتّر، رغم المحاولات التي قام بها خلفاء الموحدين من أجل كسب تأييد بعض أشياخ التصوف، وعن طريق مختلف الوسائل والإجراءات، إلّا أن الرّفض التّام لأيّ شكل من أشكال العلاقة مع السلطة كان ردّ المتصوفة، مع أن هدف السلطة الأوّل والأخير ليس حُبًّا في هذه الفئة، بل محاولة احتوائها وجعلها تدور في فلكها، وهذا ما يسهّل عليهم فيما بعد عملية المراقبة عن قرب، والحيلولة دون قيام خطر داهم من جانبهم، وبما أن إطارنا المكاني خلال هذه الدّراسة هو الأندلس، لذلك سنقتصر على الصّوفي أبي محمد عبدالله القطان شيخ ابن عربي، والذي يعد بحق أفضل نموذج للعلاقة المتأرجحة بين تعنّت المتصوفة وانتقاداتهم اللاّذعة للسّلطة، وشدّة وقسوة السّلطة في التّعامل معها، والتي كادت أن تصل إلى حد القتل كما في حكاية أبي عبد الله القطان خلال هذه الفترة، فقد ذكر لنا تلميذه ابن عربي انتقاداته الشديدة التي كان يوجهها لخلفاء الموحدين وممثليهم، دون خوف أو كلل، فقد كان يصدع بالأمر لا تأخذه في الله لومة لائم، يردُّ كلام السّلاطين في وجوههم أقبح رد، له صولة يرمي بها من يشاء بالحق، لا يُبالي عرّض نفسه للقتل من كثرة سبّه لأفعال السلاطين، وما هم عليه من مخالفة للشريعة .فأخذه الأعوان ودخلوا به على الوزير الذي أمر أعوانه بسجنه حتى يشاور السّلطان

---

[1] فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق** ، ص 124.

في قتله، فقام الخليفة باستنطاقه للتأكد من وفائه لمبدأ التوحيد، وعبد الله القطان في كل ذلك لا يترك أيّ فرصة تمّر دون أن يوجّه نقدًا إلى السّلطان، وفي مجلس الوزراء والفقهاء، عندها لم يجد الخليفة من مخرج سوى إطلاق سراحه . هذا الموقف يعبّر لنا وبوضوح عن مواقف بعض المتصوفة الرّافضة للتّعامل مع السّلطة. ويبرز مدى العلاقة المتوترة بين المتصوفة والسّلطة الموحدية خلال هذه المرحلة التاريخية.

وباعتلاء المنصور الخليفة الموحّدي للسّلطة وجد نفسه حين تولى الحكم أمام خصمين عتيدين، المتصوفة من جهة، والفقهاء المالكية من جهة أخرى، لهذا نلحظ أن أوّل عمل قام به بعد تسلمه أمور الدولة، محاولة القضاء على المذهب المالكي واستئصاله من جذوره، وهذا لا يتأتى حسبه إلا بعد التخلّص من كلّ المؤلّفات الفقهية المالكية لكبار رجال المذهب، لذلك عمد إلى إحراق كتب الفروع للمالكية في جميع أنحاء الدولة، فأحرق مدونة الإمام سحنون ونوادر ابن أبي يزيد ومختصره المسمى بالرّسالة، وكتبا أخرى كثيرة من هذا النّوع [1].في مقابل ذلك حاول فسح المجال لعلماء الحديث للبروز أكثر قصد الحدّ من نفوذ المذهب المالكي، فاستدعاهم إلى عاصمته مراكش ليعوّض بهم الفقهاء المالكية حتى ينشروا الحديث النّبوي الشريف وغيره .

كما قرّب إليه فقهاء المذهب الظّاهري في محاولة منه لحصار المذهب المالكي وخنق أنفاس فقهائه، لجعلهم بين فكّي كمّاشة علماء الحديث من جهة وفقهاء الظّاهرية من جهة أخرى، كلّ هذا من أجل كسر شوكة المذهب المالكي المتأصّل في بلاد المغرب والأندلس[2].

---

[1] فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق** ، ص 128 .

[2] عبد الهادي أحمد الحسين ، **مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي (554هـ595هـ/ 1159م،1198م)** ، مطابع الشويخ ، تطوان ، المغرب ، 1983 .ص6 .

إنّ السّلطة الموحدية ممثّلة في خليفتها المنصور لم تكن لتجهل الخطر الحقيقي الذي يمكن أن تشكله فئة المتصوفة على الجهاز الموحدي كبنية وسلطة فحاول التقرب منها وكسب تأييدها، فكُتب التاريخ السياسي التي أرّخت لهذه الفترة حافلة بالمعلومات المتعلقة بمحاولة المنصور استقطاب تيار التصوف إلى صفه، بُغية الاستفادة من دعمها وكسب تأييد الأوساط الشعبية التي كانت ملتفة حولها، فقد وردت في هذه المصادر المختلفة العبارات الدّالة على هذه السّياسة التقاربية، فابن أبي زرع مثلا يصفه بأنه من أَجَّل ملوك الموحدين : " كان محبا للعلماء معظّما لهم يشهد جنائز الفقهاء والصّلحاء، ويزورهم ويتبرّك بهم [1]. " وقد جاراه صاحب المؤنس فيما ذهب إليه بقوله : " يحضر جنائزهم ويزور الصّالحين ويتبرك بهم ، عالماً بالحديث [2]". من هذين النّصين يتبّين لنا دبلوماسية المنصور من خلال محاولته استقطاب كلّ الفئات التي يمكن أن تشكل خطرا على دولته بما فيها فئة المتصوفة، لهذا عمد إلى المسالمة والموادعة من أجل المحافظة على الاستقرار الدّاخلي والتفرّغ لمواجهة الخطر النّصراني في الأندلس [3]فقد قام:

- بمجموعة من المبادرات الإصلاحية في الجانب الاجتماعي والأخلاقي، خاصة بعد إدراكه مدى اهتمام المتصوفة بهذين الجانبين، واللّذان يعتبران المجال الحيوي لنشاطهم خاصة وأنّها تمّس طبقة العامة التي تدور في فلكها، وذلك من خلال محاولة الحد من الآفات الاجتماعية التي كانت منتشرة بكثرة في المجتمع، وكانت موضع شكوى وانتقادات الصوفية للسّلطة واتهّامها بالتّساهل في التّعامل معها، كقضية شرب الخمر واللّصوصية...الخ. هذه الإجراءات كرّست صورة

---

[1]أبو عبد الله محمد ابن عبد الحليم ابن أبي زرع ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، تحقيق محمد عبد الله عنان ،ب ط، مكتبة الناشر ، دس ن ، ص 224 .

[2]ابن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 107 .

[3]فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق** ، ص 129 .

الحاكم العادل الحريص على راحة رعيته، وعلى ما يبدو أن الصّوفية قد تلّقوها بنوع من القبول والترحيب[1].

- البعد الجهادي في سياسته الأندلسية ، لقد شنّ المنصور العديد من العمليات الجهادية في الأندلس للحدّ من نشاط القوى النصرانية في الشّمال، وقد كان النّصر حليفه في أغلب هذه الحملات، إلاّ أن أشهر هذه الانتصارات والتي كان لها صدى واسع في جميع الأوساط بما فيها فئة المتصوفة، موقعة الأرك*، وما تنبؤ ابن عربي بالنصر في هذه الموقعة إلّا دليل على الاهتمام الخاص والمساندة التي أبداها المتصوفة لمؤازرة المنصور في حملته الجهادية، خاصة وأن القضية هنا متعلقة بالدّفاع عن أراضي الإسلام وطرد النّصارى من الأقاليم التي تحصلوا عليها في فترات سابقة، وفي هذه النقطة بالذّات، يشير المراكشي إلى استصحاب يعقوب للأولياء والصّلحاء في كتب قبل خروجه إلى جميع البلاد بالبحث عن مشروعاته الجهادية، واعتبارهم جنده الحقيقيين الصّالحين والمنتمين إلى الخير وحملهم إليه ...إذ نظر إليهم وقال لمن عنده :هؤلاء الجند لا هؤلاء[2]! ، وفي نفس السّياق يخبرنا صاحب روض القرطاس، بأن المنصور حينما اتجه نحو الأندلس لمعركة الأرك سنة 591 هـ 1195 من كان معه فقهاء المغرب وصلحاؤه[3]. ولا نعلم يقينا إن كان تعظيمه هذا للصّلحاء ناتجا عن خوفه من الخطر الذّي يمكن أن يشكّلوه أم نابع فعلا من توقيره لعلمهم ومكانتهم خاصة لدى عامة الناس، لكن الأكيد هنا أنه كان يرى في

---

[1] فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق** ، ص 129 .

***موقعة الأرك** : بالقرب من نواحي بطليوس ، كانت فيها الواقعة المشهودة بين النصارى والجيوش الإسلامية بقيادة المنصور الموحدي ،انهزم النصارى واضطروا إلى عقد الصلح ، وكان هذا سنة 591هـ . انظر ابن خلدون ، **العبر** ، ج6 ، ص 245 .

[2] عبد الواحد المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص ص ،236،237 .

[3] ابن أبي زرع ، **المصدر السابق** ،224 .

مشاركتهم في هذه الحملات دعماً كبيراً للجنود والمتطوعة، إذ سيحثّونهم على الجهاد والمضي قدما حتى الاستشهاد بدعواتهم المتواصلة، خاصة وأن أغلبيتهم كانوا مستجابي الدّعوة، ومن هذا الموقف يتبّين لنا حنكة المنصور العسكرية، لأنه كان يضرب على الوتر الحساس لدى فئة المتصوفة[1].

– محاولة التنظير لتعليم صوفي :إن أولى المحاولات لترسيم التّعليم الصّوفي وجعله إطارا لتوجيه الاختيارات الثقافية العلمية للحكم الموحدي، كانت من عمل الخليفة المنصور، أي أن هذا الأخير رفع من شأن التصوف إلى مرتبة العلوم الأخرى القائمة بذاتها، والتي تُدرّس بالمدارس ولها شيوخها ومؤلّفاتها، ومن بين الإجراءات التي تبناها هذا الخليفة إقامة المدارس وتخصيص ميزانيات من الخزينة العمومية، لتغطية تكاليفها ومتطلباتها التّربوية والتّنظيمية[2]، ومن بين هذه المدارس الرّسمية المدرسة التي خصّصها لأحد أهّم أقطاب التّصوف المغربي في العهد الموحدي أبي العبّاس السّبتي توفي سنة 601 هـ، أمّا في الأندلس فيمكن الإشارة إلى أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي* الذي استدعاه الخليفة المنصور للقدوم إلى عاصمته مراكش بعدما اشتهر ذكره.

إن السّياسة التي انتهجها المنصور، قد لقيت على ما يبدو بعض الترحيب من قبل المتصوفة، خاصة عملية إحراقه لكتب الفروع المالكية، بعد تخليصها من الأحاديث والآيات القرآنية، التي رأوا أنها عقاب أنزل على فقهاء المالكية، خاصة بعدما فعلوه مع كتاب إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في بداية القرن السادس الهجري[3] . أي أنّ المنصور بعمله هذا انتصر للتصوف والمتصوفة، يضاف

---

[1] فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق** ، ص 130 .

[3] التميمي ، **المصدر السابق** ،ج1،ص 64 .

إلى ذلك سلسلة الإجراءات المتخذة من قبله كترسيم التعليم الصوفي، والتي يكمن اعتبارها دليل اعتراف رسمي من السلطة بالتصوف والمتصوفة.

وانطلاقا من هنا يمكن القول إن سياسة المنصور التقاربية نجحت إلى حد كبير في استقطاب عدد من المتصوفة أو على الأقل تحييدهم، ومع ذلك لا ننفي وجود نماذج ظلّت على مقاطعتها للحكام وأعطياتهم[1]، فبالرغم من سياسة الانفتاح التي سار عليها المنصور، فإن هذا لا يعني أن السلطة الموحدية قد غضّت الطّرف عن نشاط هذه الفئة، فسياسة المراقبة والحذر والتوجس قد استمرت على عهده رغم عدم بروز مظاهرها، هذه المرة ليس بطريق العنف والمواجهة المباشرة التي انتهجها من قبل عبد المؤمن وأبو يعقوب يوسف، وإنما نجده يسلك سياسة المهادنة والتودد[2]، مع بعض الرقابة والصرامة، أي أنه حاول مسك العصى من الوسط في تعامله مع هذه الفئة[3].

---

[1] التميمي ، **المصدر السابق** ،ج1،ص 74،75 .

[2] التميمي، **المصدر السابق** ، ص ص، 76 ،77 .

[3] فاطمة الزهراء جدو ، **المرجع السابق** ، ص 132 .

# المبحث الثالث:

# ثورات المتصوفة في الأندلس

- المطلبالأول :ثورة المريدين زمن المرابطين.
- المطلب الثاني : رد فعل المتصوفة زمن الموحدين.

# المطلب الأول :

# ثورة المريدين زمن المرابطين

## الظّروف الممّهدة لقيام الثّورة :

في سنة 533 هـ / 1138م استدعى الأمير علي بن يوسف ابنه تاشفين حاكم الأندلس آنذاك إلى المغرب ، وولاه عهده وعهد إليه بمحاربة الموحدين [1].ومنذ سنة 535هـ / 1140م بدأت حملة الموحدين الطويلة ، بقيادة عبد المؤمن بن علي* ، في جبال المغرب وقد نجم عنها مزيد إضعاف لقوى المرابطين واستنزاف لمواردهم ، كما كان وقع الأحداث العسكرية الداخلية والخارجية يزداد حدة على الدولة المرابطية ويتظافر مع عوامل اقتصادية وطبيعية ، تنعكس على العدوتين الأندلس والمغرب [2].

يقول ابن عذاري : " ... أثناء مدة هذه الحركة الطويلة الأعوام اتصلت الحروب ببلاد أهل اللثام وغلت الأسعار ...وتوالاها الجدب حتى جفت في الأرض مذانبها واغبرت جوانبها ، وقلت المجابي بهذه الفتن ، وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين وألح العدو النصراني بالضربات على جميع جهات الأندلس حين علموا عجز الإمارة بالمغرب واشتغالها بحرب الثائرين ..." [3] . إذن لما اشتّد خطر الموحدين على المرابطين في مركز دولتهم المغرب ، اضطُّر الأخيرون إلى حشد كلّ قواتهم لمواجهة الموحدين من كل الأقاليم ، ومنها الأندلس فكانوا ينقلون منها حاميات عسكرية بكاملها إلى المغرب [4].

---

[1] ابن الخطيب ، **المصدر السابق**، ص 147 .

***عبد المؤمن بن علي:** أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي ، وكومية قرية صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان ،ومولده هناك بقرية يقال لها تاجرة ، التقى بمحمد بن تومرت واستكمل بقية معارفه على يديه ،عينه هذا الأخير قائدا لجيوشه في حروبه مع المرابطين ، كما رشّحه لخلافته ، دخل مراكش سنة 542هـ، امتد ملكه إلى بلاد المغرب الأقصى والأوسط ،وبلاد إفريقيا وكثير من بلاد الأندلس . انظر ، ابن خلكان ، **المصدر السابق** ، ج4 ، ص ص ، 236 ، 239 .

[2] بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 115 .

[3] ابن عذاري ، **المصدر السابق** ، ص 16 .

[4] بنسباع ، **المرجع السابق** ، 116 .

ففي سنة 538هـ / 1143م ، كتب تاشفين إلى البلاد يستدعيهم لنصرته ...، ووصل من الأندلس إبراهيم ابن تاشفين بعسكر [1]...فاشتداد الصراع بين تاشفين وعبد المؤمن جعل الأول لا يعير كبير اهتمام عسكري لشؤون الأندلس ، حيث يقول ابن الخطيب عنه: فلم يُلق للأندلس رأسًا . فنتج عن ذلك قيام أهل الأندلس عليهم ، لكونهم أخلوها من حماتها وأسلحتها [2]. إذ كانت تلك هي فرصة الأندلسيين للقيام على المرابطين ، ولعل أخبار الهزائم المتوالية التي كان تاشفين بن علي يحصدها أمام عبد المؤمن بن علي ، خاصة معركة تلمسان رغم تفوق الجيش المرابطي في العدد أواخر سنة 538هـ / 1143 م [3] .

وكذلك الانشقاقات التي وقعت في صفوف المرابطين ، بخروج زعماء قبيلة مسوفة المرابطية عن قبيلة لمتونة وانضمامهم إلى الموحدين [4]. لعل أصداء هذه الأخبار كانت تصل الأندلس ، إضافة إلى عدم وجود قوات مرابطية كافية لضبط كل الأندلس ،مما جعل المتصوفة يرون أن الفرصة حانت لإعلان ثورتهم . فبعد نفي زعماء التصوف في الأندلس – ابن العريف ، ابن برجان ، الميورقي– إلى مراكش سنة 536 هـ أواخر عهد علي بن يوسف[5]، دخل التصوف مرحلة الإعداد السري لتفجير الثورة [6]. وقد تركز نشاطه في منطقة نائية من ولاية الغرب بالأندلس في كل من شلب* وولبة* وميرتلة* .

---

[1] ابن عذاري ، **المصدر السابق** ، ص 19 .

[2] مجهول ،**الحلل الموشية** ، ص 132 .

[3] محمد عبد الله عنان ، **دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني ، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى**،ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1990 ، 246.

[4] **نفسه** ، ص 254 .

[5] ابن خلكان ، **المصدر السابق** ، ص 237 .

[6] عبد الملك ابن صاحب الصلاة ، **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين** ، تح، د/ عبد الهادي التازي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص 30 .

*__شلب__ : بكسر الشين من بلاد الأندلس على ساحل البحر ، قاعدة كورة أكشبونة ،أغلب سكانها من العرب اليمنية ،انظر الحميري ،المصدر السابق ، ص 342 .القلقشندي أحمد بن علي ،**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ،تع، نبيل خالد الخطيب ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1987.ص 220 .

**ابن قسّي والمحاولة الأولى :**

في تلك الآونة ظهر أول الزعماء الثائرين بالأندلس في منطقة شلب في جنوبي البرتغال ، واضطرمت أول ثورة فعلية ضد المرابطين ، أما الزعيم الثائر فهو أبو القاسم أحمد بن الحسين ابن قسي [1*]، وأمّا الثورة فهي ثورة أتباعه المريدين .ذكر ابن الخطيب أن محاولة ابن قسي الأولى كانت في شوال سنة 538هـ /1143م ، إذ أمر أحد أصحابه أن يهاجم فجأة حصن منتيقوط ، ففعل ذلك لكن المرابطين تمكنوا من إخراجه من الحصن وقتلوه قبل أن يستفحل أمره . تعتبر سنة 539هـ / 1144م بداية حركة المريدين الدينية والسياسية ، أو الدور العلني للثورة ، أو كما سماها ابن الآبار السنة القارضة ملك اللمتونيين[2]. اعتمد ابن قسي في نشر دعوته على أبي بكر محمد بن يحيى الشلطيشي [*] المعروف بابن القابلة [*] ، وكان يسميه المصطفى لاختصاصه الكلي بكتاباته واطلاعه على أموره ،وقد قال عنه ابن الخطيب : " وكان فريد دهره صرامة ودهاء وشجاعة وبلاغة ، ورسائله مشهورة وفصاحته مذكورة ، رمى به غرضه وجعله سيف ثورته وعضد دولته وتغلبه[3] .

---

*ولبة: هي مدينة تقع جنوب غرب الأندلس ، تقع على ساحل خليج قادس في المحيط الأطلسي، عند التقاء نهري وديال ولبلة .

*ميرتلة: مدينة بالأندلس شرق مدينة باجة بينهما أربعين ميلا ، أنظر الحميري ، **الرّوض المعطار في أخبار الأقطار**،تح، إحسان عباس ، ط2 ،مكتبة لبنان ،بيروت ، 1984 .ص 569 .

[1*]**ابن قسي** :هو أبو القاسم أحمد ابن الحسين ابن قسي ، من أصل رومي نصراني من بادية شلب ، وكان ابن قسي مولدا ، كان قبل انضمامه إلى تيار التصوف موظفا بإدارة المالية المرابطية ببلدته ، ثم اعتنق طرائق الصوفية وتبحر فيها ، حتى غدا من شيوخها وألف فيها طائفة من الكتب منها كتاب خلع النعلين ، ثم تزهد أو تظاهر بالزهد ، وباع أمواله وتصدق بثمنها ، وتجول في البلاد ، درس على ابن العريف في ألمرية ثم عاد إلى وطنه استقر بقرية جلة من أحواز شلب ، وابتنى بها رابطة كان يجتمع فيها بصحبه ، وانكب على قراءة كتب الغزالي ، التف حوله كثير من الصحب والأنصار ، فسموا بالمريدين ادعى ابن قسي الهداية والولاية ، كانت نهايته على يد أنصاره خاصة بعد تحالفه مع قوى نصرانية ( ملك البرتغال ألفونسو هينريكيز) ، انظر عبد الله عنان ،المرجع السابق ، ص254.

[2]ابن الخطيب ،**المصدر السابق** ، 250 .

[3]د/ عصمت عبد الطيف دندش ، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510هـ ، 546 هـ / 1116م ،1151م)**، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1988 ، ص 73 .

**المحاولة الثانية واندلاع ثورة المريدين :**

نتج عن فشل المحاولة الأولى أن خاف ابن قسي ، وزيادة في الحيطة نقل مركز نشاطه من قرية جلة قرب شلب إلى قرية الجوزة قرب ميرتلة[1]، حيث كان له حلفاء يعرفون ببني السنة ، بقي مختفيا عندهم يخطط سرا مدة ،أخذت جموع ابن قسي تتزايد بانضمام الناس إليه سواء مؤمنين بإمامته أو طمعا فيما يبذله من مال ووعود براقة [2].يقول ابن الخطيب : "... فأجزل العطاء من غير عمل ولا خراج ، وكان إذا أعطى يحثو بيده من غير عدد ، وكان أصحابه يقولون للناس إن المال يتكون عنده من فراغ [3]". وجد ابن قسي أن الثمرة قد نضجت وحان قطافها ، فخلع القناع الديني وظهر بصورة الزّعيم الشّعبي [4]، وقد استطاع عن طريق عيونه أن يتخير الوقت المناسب لدخول حصن ميرتلة ، فاقتحمه حوالي 70 رجلا من أتباعه بقيادة ابن القابلة في 12 صفر 539هـ / أغسطس 1144م ، بادر ابن القابلة بتسكين الناس وضبط الحصن وأعلن بدعوة ابن قسي ، وقد زحف المرابطون بتلك الجهات إليه و لكنهم لم يستطيعوا إنقاذ الحصن فارتحلوا بعد تخريب قطر ميرتلة وتداعت عامة ما يجاورها إلى الثورة [5].

---

[1] ابن الخطيب ،**المصدر السابق** ، ص 250 .

[2] د/ عصمت عبد اللطيف دندش ، **المرجع السابق** ، ص 73 .

[3] ابن الخطيب ، **المصدر السابق** ، ص 251 .

[4] د/ عصمت عبد اللطيف دندش ، **المرجع السابق** ، ص73 .

[5] ابن الخطيب ،**المصدر السابق** ، ص 252 .

*__يابرة__ : بلد في غرب الأندلس ، من كور مدينة باجة ، وهي قديمة ، انظر الحموي ، **المصدر السابق** ،ج5 ، ص 486 . الحميري ، **المصدر السابق** ،ص 615 .

*__سيدراي بن وزير__: القيسي ، من رجالات الأندلس ، كان أميرا بغربها .نظمته الدعوة المهدية مع رؤساء الأندلس وحضر حصار إشبيلية إلى أن فتحت سنة 541هـ.انظر خير الدين الزركلي ، **الأعلام الدهماء** .

*__ابن المنذر__ : أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر أحد أعيان شلب ونبهائها ، من بيت قديم من المولدين ، لازم التعليم بإشبيلية في صغره حتى تميز بالمعارف الأدبية والفقهية ، وولي خطة الشورى ببلده ، ثم تزهد وانزوى ورابط في ساحل البحر في رباط ريحانة، وتصق بماله وصاحب ابن قسي ، وامتحن من أجله ثم خلص من ذلك ، وقام في بلده بدعوته . انظر ابن الآبار، **الحلة السيراء** ، ج2 ،ص ص202 ، 203 .

في ربيع الأول سنة 539 هـ / سبتمبر 1144 م ، دخل ابن قسي في جمع وافر من المريدين شعارهم التهليل والتكبير إلى قصبة ميرتلة واتخذ من قصرها مقرا له وتَسّمَى بالإمام وخاطب أعيان البلاد وندب الناس إلى الثورة على المرابطين ، فاستجاب له أهل يابرة* بزعامة سيدراي بن وزير* وأهل شلب بزعامة ابن المنذر* الذي لقبه ابن قسي بالعزيز بالله [1] استولى المريدون على حصن مرجيق* من أعمال شلب وقتلوا المرابطين الموجودين به ، فلما علم المرابطون بباجة* ما حلّ بإخوانهم في حصن مرجيق طلبوا الأمان من أهل باجة على أن يخرجوا إلى إشبيلية ، وعلى إثر خروجهم دخلت قوات ابن المنذر وابن وزير ، وأعلن أهلها دخولهم في طاعة ابن قسي [2] .

توجهت جموع المريدين بعد ذلك إلى وادي آنة* وعبرته إلى مدينة ولبة على مقربة من شرقها ، ثم استولت على لبلة* ، تضاعفت جموع ابن المنذر فتملكه الغرور واعتزم السير إلى إشبيلية ، وشجّعه أنّها كانت بلا أمير ، فخرج في قواته من لبلة نحوها فدخل حصن القصر و طلياطة* ثم تقدم إلى الحصن الزاهر، وقد كشف جمعه وكثر حشده ، فدخل الحصن واستولى عليه [3]. لكن عند طلياطة في ضاحية إشبيلية ، تعثرت قواته وتوقفت عملياته

---

[1] ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ، ج2 ، ص 204 .

*__باجة__ : تقع إلى الغرب من مدينة قرطبة ، من أقدم مدن الأندلس ،بنيت أيام الأقاصرة ، نزلها جند مصر خلال عصر الولاة،ومعنى اسمها الصلح ، انظر ابن الشباط ،**قطعة من وصف الأندلس وصقيلية من كتاب صلة الصمت وسمة المرط ضمن كتاب تاريخ الاكتفاء**،لابنالكردبوس ، تح، أحمد مختار العبادي ،معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد 1971 .الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 75 .

*__حصن مرجيق__:أحد الحصون المنيعة بالأندلس ، كان تحت سيطرة المرابطين ، ثم استولى عليه المريدون وطردوهم منه إبان ثورة ابن قسي .

[2] ابن الآبار ،**المصدر السابق** ، ص 204 .

[3] ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ، ج2 ، ص 205 .

*__وادي آنة__: أحد الوديان في الأندلس.

*__لبلة__: مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر ، لها سور منيع وبشرقيها نهر يأتيها من ناحية الجبل ، بها أسواق وتجارات ومنافع جمة .

*__طلياطة__: ذكر ياقوت أنها ناحية بالأندلس من أعمال أستجة قريبة من مدينة قرطبة ،انظر الحموي ، **المصدرالسابق** ، ج4 ، ص 45 .

العسكرية لأول مرة حتى ذلك الوقت [1].ذلك أن الأمير أبا زكريا يحي ابن غانية الصحراوي والي قرطبة والقائد العام للجيش المرابطي بالأندلس حين علم بثورة غرب الأندلس وتقدم الثوار في اتجاه الشرق نحو إشبيلية بادر بالخروج من قرطبة لمواجهة الموقف ، فوصل إشبيلية وابن المنذر ما يزال خارجها ، فوجه فرقة من قوات المرابطين عبرت الوادي الكبير ، واشتبكت مع الثوار المريدين في طريانة وهزمتهم وقتلت عددا كبيرا منهم وطردت الباقي [2].

وهكذا تراجع ابن المنذر ليلا إلى لبلة وجعل يحصّنُها ثم انسحب نحو شلب وترك البطروجي يصد هجمات ابن غاية على لبلة التي استمرت ثلاثة أشهر ، إلى أن وصلت أخبار قيام الثورة في قرطبة *في رمضان 539 هـ ، حينذاك ترك ابن غانية لبلة وانصرف نحو إشبيلية [3].

في هذه الفترة حاول ابن قسي الاتصال بالموحدين لأول مرة ، خاصة بعدما علم بانتصارهم في موقعة وهران ومصرع تاشفين ابن علي سنة 539 هـ ، بعث ابن قسي سفيرا إلى عبد المؤمن عاهل الموحدين وهو قائم على حصار تلمسان في أواخر سنة 539 هـ وتلقب في رسالته بالمهدي ، فأنكر ذلك عبد المؤمن ولم يجاوبه لما لمسه من تعاليه في الخطاب عليه[4] ، لما علم ابن قسي باضطرام الثورة في قرطبة أمر ابن المنذر وابن القابلة أن يحشدا قوات المريدين ويسيرا إلى قرطبة ليبثّا دعوته هناك وترغيب العامة في قبولها ومحاولة استقطابهم نحو تيار التصوف السياسي ، ويبدو أن دعوة المريدين كانت تلقى استجابة من طرف سكان الأحياء الهامشية من قرطبة [5].

---

[1] محمد عبد الله عنان ، **المرجع السابق** ، ص 311.

[2] ابن الآبار، **الحلة السيراء** ، ج2 ، ص 205 .

[3] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ص 206 .

[4] محمد عبد الله عنان ،**المرجع السابق** ، ص،ص309 ، 310 .

*__قرطبة__: هي أعظم مدائن الأندلس، وهي مدينة حصينة بسور من الحجارة ، كانت عاصمة للدولة الأموية أيام الحكم الإسلامي ، من أشهر معالمها جامع قرطبة .

[5] ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ، ج2 ، ص 206 .

وهكـذا ففـي الوقـت الـذّي تحركـت فيـه قـوات المريـدين نحـو قرطبـة طـرأت متغـيرات جديـدة علـى الخريطـة السياسـية بقرطبـة [1]فقـد جـاء سـيف الدولـة أحمـد ابـن هـود * المدينـة فـدخلها بمداخلـة أهلهـا إيـاه[2] .فملّكـوه علـيهم وطـردوا ابـن حمـدين * ، لكـن لم تمـض أكثـر مـن 12 يومـا علـى تنصيب ابـن هـود حـتّى ثـارت بـه العامـة وقتلـت وزيـره ابـن الشـماخوطائفة مـن أصحابه وأعادت ابن حمدين[3] .

في هـذه الظّـروف العصـيبة والمتقلبـة ، وصـل جـيش المريـدين إلى قرطبـة وكـان الامـر قـد حسـم لصـالح ابـن حمـدين ، فسـدت العلاقـة بـين ابـن قسـي وحليفـه السـابق سـيدراي ابـن وزيـر صـاحب باجـة ، فبعـث ابـن قسـي ابـن المنـذر لمحاربتـه فهزمـه ابـن وزيـر وقـبض عليـه ، ثم زحـف علـى شـلب وانتزعهـا وانتهـى بالاسـتيلاء علـى ميرتلـة ، وأعلـن خلـع ابـن قسـي والـدعوة لابـن حمـدين صـاحب قرطبـة وذلـك في شـعبان 540 هـ ،إلى هنـا كـان الثـوار المريـدون قـد اسـتولوا علـى غـرب الأنـدلس كلـه ، ولم تتقهقـر قـواتهم إلا عنـد إشـبيلية أمـام المـرابطين بقيـادة ابـن غانيـة، كمـا أنهـم لم يفلحـوا في إيجـاد مـوطئ قـدم لهـم في قرطبـة نظـرا لالتفـاف العامـة حـول القاضـي ابـن حمـدين ، ومـن هنـا بـدأت العقبـات الـتّي اعترضـت امتـداد ثـورة المريـدين إلى بـاقي الأندلس[4] .

---

[1]محمد عبد الله عنان ،**المرجع السابق** ، ص 312 .

***أحمد ابن هود:** هو سليل عائلة بني هود ملوك سرقسطة ، أثناء حكم ملوك الطوائف للأندلس وكانت سرقسطة آخر قواعد ملوك الطوائف التي سقطت في أيدي المرابطين وذلك أواخر سنة 503 هـ، انظر مصطفى بنسباع ،**المرجع السابق**،ص245.

[2]ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ، ج2 ، ص 251 .

***ابن حمدين** : أبو عبد الله بن حمدين التغلبي، قاضي الجماعة بقرطبة ،اشتهر بإتقانه لمعارف عدة من الأدب واللغة والشعر إضافة إلى العلوم الفقهية ، ولي القضاء بقرطبة سنة 490هـ توفي سنة 558هـ .انظر ابن بشكوال ، **المصدر السابق** ،ج2 ، ص،ص539 ، 540 .

[3]ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ، ج 2 ، ص 252 .

[4]مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 121 .

بـادر ابـن قسـي إلى الفـرار ، وعـبر البحـر إلى المغـرب وسـار إلى مقابلـة الخليفـة عبـد المـؤمن ، وتقـدّم إليـه تائبـا متبرّئـا مـن دعاويـه السـابقة في الولايـة والهدايـة ، فتقبـل عبـد المـؤمن اعتـذاره وأكـرم وفادتـه ، وقـد كـان لمقـدم ابـن قسـي إلى المغـرب نتـائج عمليـة ذلـك أنـه اسـتطاع أن يحمـل الخليفـة الموحـدي علـى المبـادرة بالتـدخل في أحـداث الأنـدلس ، وتجهيـز حملـة موحدية لقتال المرابطين [1].

[1] نفسه ، ص 222 .

# المطلبالثاني :

# رد فعل المتصوفة زمن الموحدين

**أحداث الثّورة :**

يذكر ابن أبي زرع أن ابن هود ثار سنة 542هـ/ 1147م بعد أن بايع عبد المؤمن بن علي وحضر معه فتح مراكش[1]،بينما ابن عذاري يقول أنه ثار في شهر شوال سنة 541هـ /1146م ، وهو نفس الشهر الذي فتحت فيه مراكش من قبل الموحدين[2] ، وقبل أن نرجح أحد التاريخين ، نذكر أن النص السابق المقتطف من الرسالة التي كتبت بعد انهزام ابن هود ومقتله ، يشير أن ابن هود قد استقر في رباط ماسة منذ أعوام قبل أن يقوم بثورته، مما يضعف قول ابن أبي زرع بوجوده في مراكش عند فتحها ، ومبايعته لعبد المؤمن ، والنص أيضا يضيف أن ابن هود " استمال النفوس بخزعبلاته واستهوى القلوب بمهولاته ... فأتته المخاطبات من كل بعد وكتب ونسلت إليه الرسل من كل حدب[3]" .

بمعنى أنه كان يقوم بالدعوة إلى حركته الصوفية أعواما قبل إعلان ثورته ، فكانت بينه وبين أتباعه مخاطبات ومراسلات بدأت خلال غياب عبد المؤمن في حملته الطويلة نحو المغرب الأوسط ، ابتداء من سنة 535هـ . وبهذا تكون المدة كافية لتستجيب لدعوته قبائل كثيرة بعيدة عن مركز دعوته رباط ماسة . ومادام ابن هود كان يحضر نفسه للقيام ، فلا معنى أن يبايع عبد المؤمن ويحضر معه فتح مراكش . مما يزيد في إضعاف رواية ابن أبي زرع[4]. والرّاجح أن ابن هود كان يحشد الأتباع لدعوته ، في نفس الوقت الذي كان يرقب فيه الصّراع بين الدعوة الموحدية وبين المرابطين والفقهاء المالكية . فلم يتسرع بإعلان دخول التيار الثالث (التصوف) إلى واجهة الصراع في المغرب ، كما حدث في الأندلس مع ثورة المريدين .

---

[1] ابن أبي زرع ،**المصدر السابق** ، ص 196 .

[2] ابن عذاري ، **المصدر السابق** ، ص 30 .

[3] ابن الآبار ،**المصدر السابق** ، ص228.

[4] مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 135 .

بل لعله آثر التريث حتى ينتهي الصّراع بين التيارين الآخرين . فقهاء المالكية والمرابطين ضدّ الموحدين بعد ذلك يلقي بثقله في الساحة العسكرية [1].

ولعل الموحّدين أيضا كانت تصلهم أصداء هذا العمل السّري الذي يقوم به المتصوفة فحاولوا أن يحدّوا من خطره . ولما أخذ الموحدون مراكش من المرابطين في شوال 541هـ رأى ابن هود أن يدخل الصراع ، فهو حينذاك لن يواجه إلا خصماً واحداً منهكًا من الصّراع مع الثّالث . وهو أيضا إذا تأخر في الدخول في المواجهة فسيعطي الفرصة للدعوة الموحدية لكي يشتد ساعدها ، لذلك بادر في نفس الشهر إلى إعلان مهديته وثار على الموحدين ، وهو ما يرجح رواية ابن عذاري

على أيّ فإن دعوة الماسي أثمرت فانضمّت إلى ثورته قبائل ومدن متعددة منها جزولة وهسكورة الوطاء ودكالة وبني ورياغل[2]، وأهل نفيس وهيلانة وبرغواطة كما استجابت لدعوته كل من سلا وسجلماسة ودرعة [3]، وعن امتداد هذه الثورة وخطورتها على الموحدين يقول ابن عذاري : " فأقبل الناس المغترون به من كل مكان وقبيل إليه ، فاجتمعوا بشقاوتهم عليه اجتماعا طار له الذكر في الآفاق وتحدثت به الرفاق وكثروا عنده واستندوا إليه فقامت بدعوته جموع لا تحصى ...حتى لم تبق منها إلا مراكش وفاس وارتدت سائر البلاد كلها .[4]" وهذا إن دلّ فإنما يدل على أن دعوته كانت منظمة تنظيما جيدا ، من امتدادها إلى مناطق نائية كبني ورياغل وسجلماسة ، بل وصلت ثورته إلى بلاد الأندلس إذ يشير البيذق أن تجاوب مع ثورته ابن قسّي زعيم المتصوفة المريدين بالأندلس إذ نقض حلفه مع الموحدين[5].

---

[1] بنسباع ،**المرجع السابق**، ص 135 .

[2] البيذق ، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 .ص 67 .

[3] ابن عذاري ، **المصدر السابق** ، ص 32 .

[4] **نفسه** ، ص 31 .

[5] بنسباع ، **المرجع السابق**، ص 137 .

أمّا عن سبب التفاف كل هذه القبائل حول الثائر ابن هود كان ردّ فعل على تخميس الموحدين لأموالها وهي مسلمة.[1] فعن قبيلة جزولة عصب دعوة ابن هود الماسي، يذكر البيذق أن عبد المؤمن بن علي بعد أن تفاوض معهم على أن يدخلوا في طاعته مكر بهم ودبّر لهم مجزرة حيث قتلهم جميعا إلا الصبيان الصغار. وساق غنائمهم ... كان ذلك في عام 539هـ[2]. ولعل هذه الخديعة التي أوقعها الموحدون بجزولة وأخذهم أموالهم رغم أنهم مسلمون[3]، كان من بين الأسباب التي جعلت جزولة تتبنى ثورة بن هود الماسي ضد الموحدين بعد عامين من هذه الحادثة سنة 541هـ. كذلك لا يمكن إغفال الجانب الإيديولوجي في تبني هذه القبائل لثورة ابن هود التي كان ينتظر فيها ظهور المهدي[4].

لقد كانت هذه الثّورة من القّوة، حيث كادت تعصف بكل جهود الموحدين العسكرية، على مدى 25 سنة من أجل السيطرة على المغرب، بل كان لها تأثير أيضا على وضعهم في الأندلس، لذلك كان لابد أن يُولُوها الاهتمام، فالرّاجح أن الموحدين بعد أن فرغوا من أمر فتح مراكش، وهدّأوا الأوضاع بها بدأوا يعملون من أجل سحق ثورة ابن هود[5]. تراوح عدد الحملات التي وجهها الموحدون ضد ابن هود وأصحابه، بين واحدة واثنتين ومجموعة من الحملات، حسب المصادر، وإن كانت كلها اتفقت على أن الحملة الأخيرة كانت بقيادة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي...بعد فشل الحملات الأولى، جهز عبد المؤمن حملة كبيرة ضمت قبائل الموحدين وأشياخهم، وأفراد من المرتزقة الروم المسيحيين[6] و عدد من الرماة، وبلغ عدد أفراد هذه الحملة ستة آلاف فارس من المشاة، جعل على رأسهم الشيخ أبا حفص عمر الهنتاتي ، خرج عبد المؤمن مشيعا لهذه الحملة إلى

---

[1] ابن عذاري ، **المصدر السابق** ، ص 32 .

[2] البيذق ، **المصدر السابق** ، ص ص ، 57 ، 58 .

[3] الإدريسي ، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية** ، نشر، هنري تيريس ، ب ط ، د ت، الجزائر ، 1957 .ص ص 42،43.

[4] بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 137 .

[5] **نفسه** ، ص139 .

[6] هم بقايا الكتيبة المسيحية في الجيش المرابطي .

وادي تانسيفت، وقد كان سلاح الفرسان في قوات الماسي قليلاً من حيث العدد، حيث لم يتجاوز سبعمائة فارس مقارنة مع مثيله عند الموحدين، بالمقابل كان له تفوق في عدد المشاة حتى أن الرّوايات يبدو أنها تبالغ في ذلك، تذكر أنه كان يقدر ب ستين ألف راجل[1].سار الجيش الموحدي في اتجاه رباط ماسة، مركز انطلاق ثورة ابن هود والظاهر أنه التقى بقوات الماسي على إحدى ضفتي نهر ماسة بالقرب من مصبه. ونشبت هناك معركة عنيفة حمي وطيسها بين الطرفين، وأظهر فيها أتباع الماسي بسالة و استماتة في القتال، شهد بها خصومهم الموحدون أنفسهم حيث كانت هناك كرّات شهيرة وحملات كثيرة، وظهر لأعداء الله تجلّد لم ير قط لأمثالهم ولا تُخيّل من أفعالهم[2] .ولما تعذّر على الموحّدين إحراز النّصر بسرعة في هذه المعركة المفتوحة لجأوا إلى المناورة للتّأثير على معنويات أصحاب الماسي، فعملوا على الوصول إليه شخصيا وقتله أثناء المعركة، فلمّا رأى أتباعه مصير قائدهم انهزموا وتفرقوا فارين، فتتّبع الموحدون فلولهم بالقتال وهكذا تم النصر للموحدين وحُملت جثة الماسي إلى مراكش، بعد نهاية المعركة، حيث صُلبت هناك، لتنتهي بذلك ثاني ثورة للمتصوفة خلال فترة الانتقال. وقبل إسدال الستار على ثورة ابن هود هذه، لابد من الخوض في تحديد زمان القضاء عليها، وبالتالي تحديد تاريخ هذه المعركة الفاصلة فابن عذاري يقول بأن ثورة بن هود انطلقت في شهر شوال سنة 541هـ- وتعرفنا على الصدى الكبير الذي خلّفته هذه الثورة في المغرب، رغم ندرة ما وصلنا عنها من أخبار، فقد ذكرت المصادر، ومنها بن عذاري أنّها كادت تقضي على نفوذ الموحدين، حيث لم يبق تحت سلطتهم غير مراكش وفاس- وتمّ القضاء عليها في ذي الحجة سنة 542هـ، أي أنها استمرت لمدة 14 شهرا وهو زمن يتناسب مع أهميتها وخطورتها[3].

---

[1] ابن عذاري ، **المصدر السابق** ، ص، 31 .

[2] يذكر ابن أبي زرع أن الشيخ أبا حفص قتل الماسي بيده .انظر مصطفى بنسباع ، **المرجع السابق** ، ص 139 .

[3] مصطفى بنسباع، **المرجع السابق** ، ص 141.

# خاتمـــة

من خلال ما سبق يمكن استخلاص عدّة نتائج أهمها :

- عرف التصوف خلال العهد الموحدي تطورا كبيرا ، فبعد أن كان زهدا بسيطاً ، يميل إلى الإكثار من العبادة وحياة التقشف بداية من القرن الأول إلى غاية القرن الثالث الهجري، ظهرت بوادر المدرسة الصوفية الأندلسية في القرن الرابع الهجري ، على يد ابن مسّرة الجبلي والتي اقترنت بأفكار فلسفية جديدة ( عقائد وفلسفات الفرس القديمة ، الزراداشتية ، وبعض الأفكار الوثنية...) ، والتّي كانت الأساس الذي اعتمده المتصوفة من بعده . فظهرت التيارات الصوفية الفلسفية بقوة خاصة في العهد الموحدّي ، رغم وجود التيار الصوفي السّني المعتدل .

- ظهور الفكر الغزالي في كتاباته خاصة كتاب الإحياء الذي كان له أثر كبير في انتشار التصوف ، حيث اعتُمدت أفكاره لدى العديد من المتصوفة السنيّين ، في تيار صوفي سنّي فلسفي كان له دور كبير في انتشار التصوف . وكذلك في الأحداث التي وقعت بين المتصوفة والسلطة ، وذلك بمحاربة السلطة والفقهاء لأفكاره الصوفية والقيام بإحراق كتبه ، التي استغلها ابن قسّي للقيام بالثورة ضدّ المرابطين والمعروفة بثورة المريدين .

- الانتشار الكبير للتصوف عهد الموحدين ، نتيجة سياستهم (المعتدلة) التّي فسحت لهم المجال للنّشاط وذلك لاشتراك المصالح بينهما . فالموحدون استغلّوا هذا التقارب في حرب المرابطين وإضعافهم وجهاد النّصارى في الثغور ، والمتصوفة استغلّوا هذا الوضع للنّيل من سلطة المرابطين والفقهاء المالكية وسياسة التضييق والمتابعة التي انتهجوها ضدّهم . ففي هذا العهد (فترة المنصور الموحدي ) والذي يعتبر فترة الاعتراف الرسمي بمذهب التصوف ، انتشرت المدارس الصوفية بدعم من السلطة الموحدية في كل من المغرب والأندلس . تنشر مختلف معارف الصوفية وعلومهم ، كمدرسة أبي العباس السبتي في مراكش ،ليصبح لها صدى وتأثيراً اجتماعياً وسياسياً في كامل الغرب الإسلامي.

- ظلّ التّصوف مذهباً قائماً بذاته في المغرب والأندلس ،رغم ما عاناه من مضايقات وويلات في فترة المرابطين – وما تزال تعاليمه وآرائه – قائمة إلى يومنا هذا وله أتباع ومريدون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

- لعل من أهّم الفوارق بين التصّوف المشرقي والتصّوف الأندلسي هو طموح هذا الأخير (الأندلسي) إلى السّلطة والحكم ، وتحوّله من ممارسة زهدية روحيّة تهتم بإصلاح النفس وأغوارها إلى ممارسة سياسية تطمح للسلطة ومقاليد الحكم .

- يمكن القول أنّ من أسباب انهيار المرابطين وزوال ملكهم بالأندلس ، هو ثورات الصّوفية المريدين الّتي تزعّمها ابن قسّي ، هذه الثّورة الّتي قضّت مضجع المرابطين وهزّت أركان دولتهم بالأندلس ، خاصّة توقيتها الّذي كان دقيقاً ، إذ بمجرّد نقل المرابطين لحامياتهم العسكرية من الأندلس إلى المغرب - بسبب حرب الموحدين- انتهز الصوفية هذا الفراغ العسكري وأعلنوا ثورتهم بالأندلس.

- كان لهذه الثّورة تبعات ، إذ بمرور ستة أشهر فقط من اندلاعها حتّى أعلن الفقهاء القضاة الثّورة كذلك على المرابطين ( الثّورة المضادة) ، مستغلّين ضعفهم ، فثار ابن حمدين في قرطبة ، وابن حسّون بمالقة ، وابن أضحى بغرناطة ، واللّورقي بمرسية ، كما ثارت بلنسية ووادي آش ... وغيرها من المدن الأندلسية ، استهدفت هته الثّورة (ثورة القضاة) قطع الطريق على تيّار التصوف ، الذّي أخذ يستقطب عامة النّاس في الأندلس .

- طبيعة المجتمع الأندلسي ، الذّي يميل إلى الثّورة والتّغيير ، فمن خلال استقرائنا لتاريخ المجتمع الأندلسي نجد بأنّه ميّال بطبعه للثّورة والانقلاب ، وهذا لخصوصية هذا المجتمع وتركيبته الاجتماعية المتكونة من :( السكان القوط الأصليين النّصارى ، العرب الفاتحين ، البربر الفاتحين ، المولّدين ...) ، فنجد أنّه لا يثبت على حال ،كذلك ميله للترف والبذخ والدّعة ، ورفضه القاطع للمرابطين الفاتحين المتسّمين بالشدّة والغلظة والبداوة والالتزام الصّارم بتعاليم المذهب المالكي ، هذا التنافر بين التركيبتين الاجتماعيتين جعل الأندلسيين

للترف والبذخ والدّعة ، ورفضه القاطع للمرابطين الفاتحين المتسّمين بالشدّة والغلظة والبداوة والالتزام الصّارم بتعاليم المذهب المالكي ، هذا التنافر بين التركيبتين الاجتماعيتين جعل الأندلسيين يرفضون هذا الوافد الجديد – رغم أنّه خلّصهم من سطوة النّصارى – وسياسته المتشدّدة ضدّهم ، فصاروا يتحيّنون الفرصة للانقلاب ضدّه والثّورة عليه .

# الملاحق

## الملحق رقم01.

### " أبو القاسم بن قسي يبشر بثورته على المرابطين وأعوانهم."[1]

واعلم أنّ رجال الفترة هم الرّجال وخيارها هم الخيار، وهم الخارجون من النآر، الملاحظون حضرة العزيز الجبّار، فيهم يتمأن(كذا)الولايات ، وتفشوا الأسرار وتنخرق العادات وتحقّقوا مناسك العبادات ومبعث النور من الآفاق العليّات، كما أنّ طغاة الكرامات ، هم الطّغاة وشرارها هم الأشرار، ومنهم تكون الفراعنة والجبابرة ومتوجة الأكاسرة أصحاب الكبر والغضب والخانات على الرتب، فتلك من علامات الرحمة والرضى (كذا)، وتلك من علامات الغضب الأقصى ، فعسى أن يسمح الزمان بواحد من المقدم ذكرهم والمعظم قدرهم تظفر به في وسط البلاد ، الوسط بين المغرب والشرق،يكون مهينا في بلده مغفولًا عنه في جماعته، يعرف هذه المعارف ويطلع على هذا الفجر الطالع ،فيستند الرجال إليه وتخضع الرقاب وبين يديه(كذا) ، وقد أعذرت وأنذرت وصرّحت وبشّرت لمن كان له قلب وألقى السّمع وهو شهيد، فصوّبوا رحمكم الله النظر واستعملوا قوّة الفكر في هذا الرّوح الذي ظهر ، فإنه مرأى بحاسة البصر موجود ،وهل يخفى القمر .

واعلم أنّ الأمر بين الفترة والفترة بعيد والجوار مظلم والطريق قفرة والمهامة فيح والسالك قليل والدليل عزيز والغابر جابر ، فيه ما أعزّ الواصفون وأقلّ الواصلون وأنسا الذّاكرون والحافظون ، وما تباعد الوقتان وتتأمن الطرقان ، كان الذاكر والسائر حائر عزيزاً والحفظ أعزّ، و كان المؤمن غريباً والغريب فرد ، والفرد مخصوص والمختّص مقرب والقريب صفّي والصفيّ بالنّور النبويوالرّوح القدسي ، ولذلك فأوجبت الأخوة وحقّت النسبة النبوية وبه قال(صلّى الله عليه وسلّم ) في الغرباء من أمته والمتأخرين من أهل ملّته ،هلم إخواني ، فقالت الصحابة نحن إخوانك يا رسول الله ، قال أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد يؤمنون بي ولم يروني .

---

[1]محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصرالمرابطين**، أطروحة دكتوراة ، إش، د/ عبد الحميد حاجيات ، ج2،جامعة الجزائر ، 1423هـ،1424هـ/ 2002م،2003م.

واعلم أنّ جبابرة الأزمان وفراعنته إنما أرصدهم الله محنة لغرباء الوقت وأفراد الحين ، ولتكون خروج الرسل عليهم على حين من احتداد شوكتهم واتّقاد من جمهرتهم واستكمال قضيتهم ووطأتهم . فكلما ظهرت آية وشهدت بيّنة تعالوا كبراً وازدادوا طغياناًوكفراً . ثم لا يلبثون كذلك برهم من زمانهم ووقتاً من خروج الرسل عليهم إلاّ **{(ف) أَتَى اللهُ بُنيَانَهُمْ منَ القَوَاعد فَخَرّ عَلَيْهِمْ السَّقْفُ منْ فَوْقهمْ وَأَتَاهُمْ العَذَابُ منْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ،}** و**{يَحقُّ الحَقَّ بكَلمَاته وَيَقْطَعَ دَابرَ الكَافرينَ}**.

## الملحق رقم 02

### "اختلاف آراء فقهاء المغرب والأندلس في كتاب الإحياء وإحراقه"[1]

**وسئل** القباب عن جماعة من الطلبة يطعنون في كتاب الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه المشهور بالإحياء ، ويشدّدون في الإنكار على من أراد قراءته ، وبالغ بعضهم في ذلك إلى أن قال :ليس ذلك بإحياء علوم الدين ، وإنما هو إماتة علوم الدين ، وأردنا منكم أعانكم الله على طاعته جوابا شافيا يوضح الحق، وهل لإنكارهم وجه أم هو جهل منهم؟وهل يجوز لكل أحد أن ينظره أم لا يجوز إلا لعارف ؟ وفيه ما ينظر وما لا ينظر؟ وهل على من أنكر منهم عقوبة لكونه أنكر ما لا يعرفه أم لا ؟ بيّنوا لنا ذلك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**فأجاب** :إنكار المنكر لقراءة الإحياءوقوله إنه إماتة علوم الدّين لا إحياؤه ،فهذاقول منكر وكلام مبتدع وغبي جاهل بحق الرجل وبحق كتابه . وأبو حامد إمام من أيمة المسلمين ، قال فيه المازري إنه لا يشق غباره في الفقه وفي أصول الفقه ، وإنما انتقد عليه بعض الفقهاء مسائلمما يتعلق بشرح عجائب القلب وما يتعلق بذلك وما أشبه ذلك ،أجاب عنه آخرون.ولاشكّ أن ترك النظرفي تلك المسائل لمن لا رسوخ له في العلم واجب ، وما عدا ذلك من الفقه والتكلم في خبائث القلب من الكبر والعجب والرياء والحسد فقراءته واجبة ،وكذلك جميع الآداب من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم ، والأوراد وآداب الصحبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما لا يتعلق بالتعليل في قياس الشاهد على الغائب، فلا يعدل بكلامه شيء من كلام غيره ، وإذا كان المنكر لقراءته ممن لا يمارس كلام العلماء فغنه يزجر عن ذلك ، ولو أُدّبَ لكان لذلك أهلاً ، والله وليّ التوفيق .

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب**، تخ، محمد حاجي،ج12،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ودار الغرب الإسلامي ، المغرب ، بيروت ،1401هـ،1981م.ص184،185.

**قلت** :وجدت بخط الشّيخ أبي عبد الله السطّي ما نصّه : حدّثني أبو محمد عبد المهيمن عن أبيه عن شيخه أبي الحسن المنتصر أنه قال:الغزالي إمام في الفقه، متوسط في أصول الفقه ،ضعيف في الاعتقادات انتهى .

**قال ابن القطان** : لما وصل إحياء علوم الدين إلى قرطبة تكلموا فيه بالسوء وأنكروا عليه أشياء ، لا سيما قاضيهم ابن حمدين فإنّه أبلغ في ذلك حتّى كفّر مؤلفه وأغرى السلطان به واستشهد بفقهائه ،فأجمع هو وهم على حرقه ، فأمر علي بن يوسف بذلك بفتياهم ،فأحرق بقرطبة على الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتا ، بمحضر جماعة من أعيان الناس ،ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه ، وتوالى الإحراق على ما اشتهر عنه ببلاد المغرب في ذلك الوقت ، فكان إحراقه سبباً في زوال ملكهم ، وانتشار سلكهم ، وتوالي الهزائم عليهم ، وكان المهدي ببلاد المشرق إذ ذاك .

## الملحق رقم03.

### "رواية ابن القطان في علاقة ابن تومرت بالغزالي وإحراق الإحياء"[1]

**فذكر**: ابن القطان في كتابه المسمى نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان أن المهدي رحل من بلاد أقصى المغرب إلى الأندلس سنة خمسمائة ، ومن المرية دخل في مركب إلى المشرق فغاب فيه اثنا عشر عاما ، وذكر أيضا عن عبد الله بن عبد الرحمان العراقي شيخ مسّن من سكان فاس ، قال كنت ببغداد بمدينة أبي حامد الغزالي ، فجاء رجل كث اللحية على رأسه كرزي صوف،فدخل المدرسة وحيّاها بالركعتين ، ثم أقبل على الشيخ أبي حامد فسلم عليه ، فقال من الرجل ؟ قال من أهل المغرب الأقصى ، قال دخلت قرطبة ؟قال نعم .قال فما حالفقهائها ؟ قال : بخير، قال :هل بلغهم الإحياء؟ قال : نعم .قال فماذا قالوا فيه ؟فلزم الرجل الصمت حياء منه ،فعزم عليه ليقولن ما طرأ فأخبره بإحراقه وبالقصة كما جرت ، قال فتغير وجه الشيخ أبي حامد ومدّ يده إلى الدّعاء والطلبة يؤمنون ، فقال اللهم مزّق ملكهم كما مزّقوه ، وأذهب دولتهم كما حرقوه فقام محمد بن تومرت السوسي الملقب بعد بالمهدي عند قيامه على المرابطين فقال له : أيّها الغمام ادع الله أن يجعل ذلك يدي . فتغافل عنه أبوحامد ، فأخبره بمثل الخبر المتقدم ، فتغير ودعا بمثل دعائه الأول ، فقال له المهدي : على يدي ، فقال: اخرج يا شيطان سيجعل الله ذلك على يدك .فقبل الله دعاءه. وخرج محمد بن تومرت من هناك إلى المغرب برسم تحريك الفتن وقد علم أنّ دعوة ذلك الشّيخ لا ترد ، فكان من أمره ما كان ، وكان تاريخ هذا الإحراق سنة سبع وخمسمائة .

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب**، تخ، محمد حاجي،ج12،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ودار الغرب الإسلامي ، المغرب ، بيروت ،1401هـ،1981م.ص186.

## الملحق رقم 04

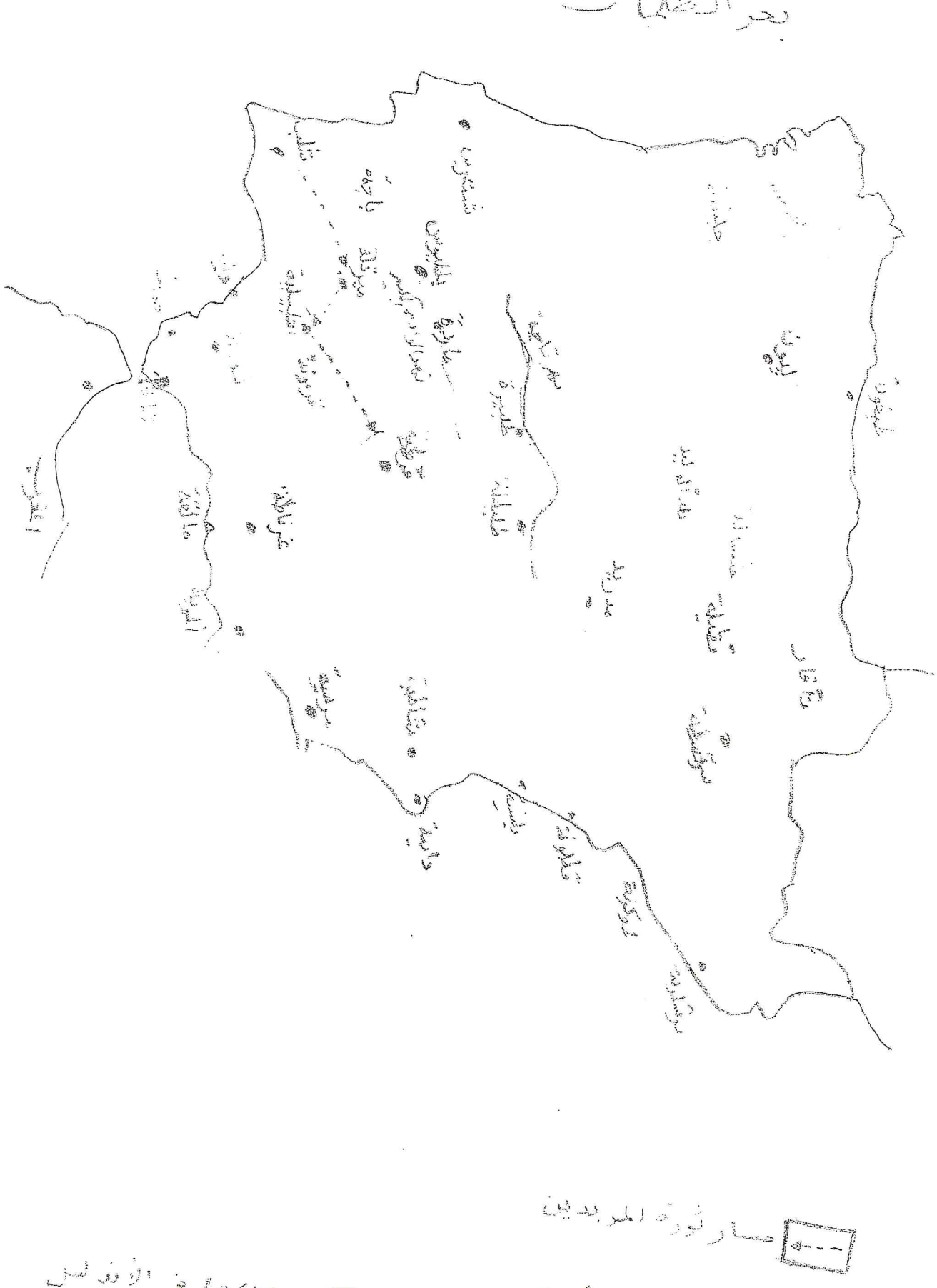
### "رسالة أبيعبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي إلى عبد الله بن المظفر بخصوص الامام الغزالي وإحراق كتابه الإحياء "[1]

أمّا ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فوجدته رجلا جليلا من أهل العلم ، قد نهضت به فضائله ،واجتمع فيه العقل والفهم ،وممارسة العلوم طول عمره وكان على ذلك معظم زمانه ، ثمّ بدا له عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ثمّ تصرف بمحير العلوم وأهلها ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووسواس الشيطان ،ثم شابها برأي الفلاسفة ورموز الحلاج ،وجعل ينحو على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدّين . فلما عمل كتابه سمّاه إحياء علوم الدين ، عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقي الصوفية ،وكان غير درّي بها ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أمّ رأسه .فلا في علماء المسلمين قر ، ولا في أحوال الزاهدين استقر ، شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذبا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منه ، سبكه بمذاهب الفلاسفة ورسائل إخوان الصفاء ، وهم قوم يرون النبوة اكتسابا ...

ولا يجوز تسطير في الكتاب ،أو يقول وهذا من سرّ القدر الذي نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدخل في دين الله ... فإن كان الرجل يعتقد ما سطّره في كتابه لم يبعد تكفيره ، وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله.

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب**، تخ، محمد حاجي،ج12،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ودار الغرب الإسلامي، المغرب، بيروت، 1401هـ،1981م.ص186،187.




مسار ثورة المرابطين

- خريطة مسار ثورة المرابطين 539هـ - 546هـ في الأندلس

# قائمة المصادر

# والمراجع

أ- **قائمة المصادر :**

**القرآن الكريم .**

1- ابن أبي دينار ابن أبي القاسم ،**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة النهضة، تونس ، 1350هـ.

2- ابن الآبار ، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تح، إبراهيم الأبياري ،ط1، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1410هـ ، 1989م.

3- ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، **الحلّة السّيراء**، تح، د/ حسين مؤنس ، ط2 ،دار المعارف ، القاهرة ، 1985.

4- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان ، **تلبيس إبليس**،تح، محمد بن الحسن بن اسماعيل وسعد عبد الحميد السعدي،ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998.

5- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي ، **أعمال الأعلام فيمنبويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**،تح، سيد كسروي حسن ،ط1،ج1، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003.

6- ابن الزيّات أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ، **التشّوف إلى رجال التصّوف وأخبار أبي العبّاس السّبتي**،تح، أحمد التوفيق ، ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة ، منشورات كلية الآداب ، 1997.

7- ابن العريف أبو العبّاس ، **مفتاح السّعادة وتحقيق طريق السّعادة**،تح،د/ عصمت عبد اللّطيف دندش ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993.

8- ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف، **تاريخ علماء الأندلس**،تح، إبراهيم الأبياري ،ج1،دار الكتب الإسلامية ، بيروت ،1983.

9- ابن تيمية أحمد ، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد الشيبي ، ط1، ج11،مطابع الرياض ، السعودية ،1381هـ.

10- ابن تيمية أحمد ،**الزهد والورع والعبادة**، تح، عباد سلامة ، شركة الشهاب، الجزائر.

11- ابن خلدون عبد الرّحمن ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر** ، تح، أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، السعودية ، دت.

12- ابن خلدون عبد الرحمن ، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تح، د/ محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق ، 1996.

13- ابن خلدون عبد الرحمن ،**المقدمة**، تح، محمد الشّامي ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ،2016.

14- ابن خلكان أبو العباس، **وفيات الأعيان**، تح، إحسان عباس ، ج1،دار صادر ، بيروت،1972.

15- ابن صاحب الصّلاة عبد الملك ، **المنّ بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تح، د/عبد الهادي التازي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1987.

16- ابن عربي محمد بن علي ،**رسالة روح القدس**،تق، بدوي طه علاّل، ط1، دار عالم الفكر ، دب ن ، 1989.

17- ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، در وتح ، مأمون بن محي الدين الجنان ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م.

18- الإدريسي عبد الله الشريف ، **القارة الإفريقية والأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**،تح، اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر . دت.

19- البغدادي عبد القاهر، **الفرق بين الفرق**، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، المكتبة العصرية،بيروت ،1990.

20- البيذق أبو بكر بن على الصنهاجي ، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحّدين**، دار المنصور للطباعة الوراقة ، الرباط ، 1971.

21- التلمساني ابن مريم ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،تح، محمد بن أبي شنب ،ب ط ،المطبعة الثعالبية ،الجزائر ، 1908.

22- التميمي أبو عبد الله، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد** ،تح،محمد الشريف ،ط1،ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تطوان ، المغرب ،2002.

23- التّنبكتي أحمد بابا ، **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، تح، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1 ،ج1،ج2،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، دت.

24- الجوزية ابن القيم،**مدارج السالكين**،تح، ناصر بن سليمان السعوي وآخرين ،دار الأصمعي للنشر والتوزيع ،السعودية ، 1432هـ ،2011م.

25- الحميدي أبو عبد الله بن الفتوح ، **جذوة المقتبس في ذكر الأندلس**، تح، روحية عبد الرحمان السويف ، ط1،دار الكتب العلمية ، لبنان ،1997.

26- الذّهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، **سير أعلام النبلاء**، تح، شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ،ط1،ج2،مؤسسة الرسالة ،دب ن ، 1985.

27- السلّمي أبو عبد الرحمان ، **طبقات الصوفية**، تح، نور الدين شربية ، ط3،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997.

28- السّهروردي عبد القادر بن عبد الله ، **عوارف المعارف**، ط2،دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1403هـ،1983.

29- الشراط أبو عبد الله محمد بن عيشون ، **الرّوض العطر الأنفاس بأخبار الصّالحين من أهل فاس**، تح، زهراء النظام ، ط1،مطبعة النجاح الجديدة ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، المغرب ، 1997.

30- الطّوسي عبد الله بن علي السّراج، **اللّمع في التصوف**،تح،رينولد نيكلسون، ليدن،1914.

31- القشيري عبد الكريم بن هوزان، **الرسالة القشيرية في علم التصوف** ، تق، أحمد بن عبد الرحمان الشّيبي ، ط1،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1998.

32- الكلاباذي محمد أبو بكر، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، تع، عبد الحكيم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،1960.

33- مجهول ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،تح، سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،ط1،دار الرشاد الحديثة ،المغرب ، 1979 .

34- المراكشي ابن القطّان ، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان**،تح، د/ محمود علي مكي ، ط2،دار الغرب الإسلامي ، القاهرة ، دت.

35- المراكشي ابن عذاري ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)** ، تح،الكتانيزنيبر وآخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985.

36- المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الأوسي ، **الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة** ، تح، د/ إحسان عباس وآخرون ، ط1 ،ج4، سفر6 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 1997.

37- المراكشي عبد الواحد ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، شر،د/ صلاح الدين الهواري ،ط1، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006.

38- المقري أحمد بن محمد ، **نفح الطّيب** ، تح، إحسان عبّاس ، ط2، ج2،دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت ، 1997.

39- المكناسي أحمد ابن القاضي ، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973.

40- المهدي بن تومرت محمد ، **أعزّ ما يطلب** ،تح، د/ عبد الغني أبو العزم ، ب ط ، مؤسسة الغني للنشر ، الرباط ، دت.

41- النّاصري أبو العبّاس أحمد بن خالد ، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية**، تح،جعفر النّاصري ومحمد النّاصري ، ج2، دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1997.

42- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خر، محمد حاجي ، ج12، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ودار الغرب الإسلامي، المغرب ، بيروت ،1401هـ،1981م.

ب- **قائمة المراجع :**

1- أشباخ يوسف ، **تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، تر، محمد عبد الله عنان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،2011.

2- البختي علال جمال ،**الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن 7هـ**،مكتبة الثقافة الدينية ، المغرب ، 2006.

3- بدوي عبد الرحمان ،**تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن2هـ**، ط3،دار الشعاع للنشر والتوزيع ، 2008.

4- بل ألفرد ، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**،تر، عبد الرحمان بدوي ،ط3،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987.

5- بلاثيوس آسين ، **ابن عربي حياته ومذهبه**، تر، عبد الرحمان بدوي ، وكالة المطبوعات ، دار القلم ، الكويت ، بيروت ، 1979.

6- بنسباع مصطفى ، **السّلطة بين التسنّن والتشّيع والتصّوف ما بين عصري المرابطين والموحّدين**، تق، د/ امحمد بنعبود ، ط1 ، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد المالك السعدي ، تطوان ، المغرب، 1999.

7- بونابي الطّاهر ، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ،7هـ،/12م،13م نشأته تياراته دوره الاجتماعي والفكري والسياسي** ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004.

8- البيلي محمد بركات ، **الزهاد والمتصوفة في المغرب والأندلس حتى القرن 5 هـ**، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1993.

9- دندش عصمت عبد اللطيف ، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ،546هـ/1116م،1151م** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 .

10-الشيبي كامل مصطفى ، **الصلة بين التصوف والتشيع**، ط2،دار المعارف ،مصر، دت ن .

11-عداس كلود ، **التصوف الأندلسي وبروز بن عربي**،تر، أحمد الصادقي ، دار المدار الإسلامي ،2014.

12- عنان محمد عبد الله ، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغربوالأندلس**،ط2، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1990 .

13-غرميني عبد السلام ، **المدارس الصوفية المغربية الأندلسية في القرن 6هـ التاريخ والفكر**:ط1،دار الرشاد الحديثة ،المغرب ، 2000.

14-فروخ عمر ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، دار العلم للملايين ،بيروت ،1972.

15-القادري إبراهيم بوتشيش ، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات ، الأولياء )**،ط1،دار الطليعة ، بيروت ، 1993.

16-القادري إبراهيم بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلسخلال عصر المرابطين**، دار الطليعة ،بيروت ، 2000.

17- القادري إبراهيم بوتشيش ، **مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين**، ط2 ،مطبعة سجلماسة ، مكناس ، المغرب ، 2014 .

18-مكي محمود علي ، **التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط،1992.

19-مؤنس حسين ،**شيوخ العصر في الأندلس**، ط2،دار الرشاد للطباعة والنشر ، المغرب،1997.

20-هويدي يحي ، **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،دت.

**المعاجم والموسوعات :**

1- الإفريقي ابن منظور، **لسان العرب**، ج3،دار صادر ، دت، دب ن .

2- الباشا محمد ،**الكافي معجم عربي حديث**،ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، 1992.

**المقالات:**

1- السامرائي حسين أحمد عبد الحميد ، "**مدرسة ألمرية الصوفية – بين الوقع والخيال –(503هـ،546هـ/1109م،1151م)**" ، مجلة سُرّ من رأى ، العدد 10 ، جامعة تكريت ، العراق ، أيار 2008 .

2- مكي محمود علي ، "**التصوف الأندلسي مبادئه وأصوله**"، مجلة دعوة الحقّ ، ع8-9 .د ب ن،دت.

3- الوزاد محمد ، "**الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ع 6، فاس ، 1982،1983.

**المذكرات :**

1- جدّو فاطمة الزهراء ، **السّلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479هـ،635هـ/1086م،1238م)** ، جامعة منتوري بقسنطينة ، الجزائر، 2008/2007 .

2- حسبلاوي نسيم ،**الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية138هـ،422هـ**:دت.

3- ساعد خميس، **الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية**، دكتورة دولة في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005- 2006.

# الفهـــرس

مقدمة ..... 1

**فصل تمهيدي: التصوف حقيقته وتطوره في العالم الإسلامي والأندلس حتى نهاية القرن 5هـ**

**المبحث الأول: التصوف الإسلامي حقيقته وتطوره**

- تعريف الزهد ..... 11
- أصل الزهد ونشأته..... 12
- من الزهد إلى التصوف..... 13
- التصوف لغة ..... 15
- التعريف الاصطلاحي..... 19
- مراحل تطور التصوف..... 20
  - المرحلة الأولى: بدايات التصوف..... 20
  - المرحلة الثانية: تدعيم التصوف وانتشاره..... 21
  - المرحلة الثالثة: مرحلة الشطط..... 22
  - المرحلة الرابعة..... 23

**المبحث الثاني: بداية التصوف الأندلسي وتطوره حتى نهاية القرن 5 هـ**

- البداية الأولى للتصوف..... 25
- زهاد القرن 2 هـ..... 26
- زهاد القرن 3 هـ..... 27
- القرن 4 هـ وبداية التصوف..... 28
- ابن مسرة وبداية التصوف الباطني الأندلسي..... 31
- مذهب ابن مسرة..... 34

**الفصل الأول: التصوف الأندلسي عصر المرابطين والموحدين وأقطابه**

**المبحث الأول: التصوف السني المعتدل**

- التصوف السني الزهدي..... 38
- فئة الزهاد..... 38

- فئة المرابطين المجاهدين.....39
- فئة الوعاظ.....40

**المبحث الثاني: التصوف السني الفلسفي**

- حياة ابن العريف ومذهبه.....43
- مدرسة المرية وأقطابها .....46
- ابن برجان .....46
- الميورقي.....48
- التيار الفلسفي الباطني المتشدد .....49
- ابن قسي.....49
- فكر ابن قسي.....49
- الاتجاه الفلسفي المحايد: ابن عربي.....51
- مذهبه.....52

**الفصل الثاني: علاقة المرابطين والموحدين بالمتصوفة**

**المبحث الأول: علاقة المرابطين بالمتصوفة وأسلوب التعامل معهم**

- السلطة الحاكمة.....56
- موقف الفقهاء.....59
- أسلوب التعامل معهم .....61
  أ- المراقبة والمتابعة.....61
  ب- اتهام النص الصوفي بالتأويل والخروج عن السنة .....64
  ج- الملاحقة والإبعاد.....67
  د- السجن والتعذيب.....67
  هـ- اغتيال المتصوفة .....69

**المبحث الثاني: علاقة الموحدين بالمتصوفة وأسلوب التعامل معهم**.....72

## الفصل الثالث: ثورات المتصوفة في الأندلس

### المبحث الأول: ثورة المريدين زمن المرابطين


- الظروف الممهدة لقيام الثورة ..... 81
- ابن قسي والمحاولة الأولى ..... 83
- المحاولة الثانية واندلاع ثورة المريدين ..... 84


### المبحث الثاني: ثورة المتصوفة زمن الموحدين


- أحداث الثورة ..... 90

خاتمة ..... 94

الملاحق ..... 98

قائمة المصادر والمراجع..... 107